الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

République Algérienne
Démocratique et Populaire
Ministère de l'Enseignement
Supérieur et de la Recherche
Scientifique
UNIVERSITE DE 8 Mai 1945
GUELMA
FACULTE :
DEPARTEMENT :

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

الكلية: الآداب واللغات

القسم: اللغة والأدب العربي

الرقم:.....

مذكرة مقدَمة لاستكمال متطلَبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائريّ

صورة اليَّهوديّ في الرِّوايَّةِ الجزائريَّةِ المعاصرة
"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي أنموذجاً

مقدمة من قبل:

الطالبة: نجلاء سبتي

الطالبة: جهينة بابوري

تاريخ المناقشة:

أمام اللّجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
معلم وردة	أستاذ التعليم العالي	جامعة قالمة 8ماي 1945	رئيساً
عثامنيّة أحلام	أستاذ محاضر"أ"	جامعة قالمة 8ماي 1945	مشرفاً ومقرَرا
سوسي أسماء	أستاذ محاضر"أ"	جامعة قالمة 8ماي 1945	ممتحناً

السنة الجامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

"اللهم لك الحمد قبل أن ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع وألهمنا الصبر لتخطي المصاعب والعقبات التي واجهتنا أمام أداء مذكرتنا."

أتقدم بشكري الخالص للدكتورة **"أحلام عثامنية"**، التي أشرفت على هذا العمل بكل أمانه وصدق وعلى كل ما قدمتهُ لنا من نصائح وتوجيهات وإرشادات من أجل إكمال هذا البحث وإخراجه في حلته النهائيّة، وأسأل الله أن يجزيها عنا خيراً وأن يجعلها ذخراً لأهل العلم والمعرفةِ.

- إلى من أنارت دربي، وبحنانها ارتويتُ، وبدفئها احتميتُ، إلى قرة عيني ومصدر إلهامي وسر نجاحي، إلى من جعل الله الجنة تحت قدميها " **أمي العزيزة نصيرة**" لكِ خالص الحب والاحترام والإجلال وأطال الله في عمرك...
- إلى الذي لا أنساه ماحييت، إلى من يشتهي اللّسان نطقه وترفرف العيّن من وحشته" **أبي الغالي ناصر**"، رحمه الله وجعل الجنة داره الخالدة...
- إلى ذراعي الذي به احتميت، إلى مصباح حياتي ونورها، إلى سندي في هذه الدنيا وعوني بعد الله " **أخي فارس**"...
- إلى صديق الأيام، وأعز ما أملك، إلى من شجعني على المواصلة رغم التعب، إلى نبراس حياتي "**زوجي بلال**"، حفظه الله وأدامه لي ومتّعه بالصّحة والعافيّة.
- إلى من تذوقت معها أجمل اللحظات، إلى رفيقة دربي وزميلتي التي تحملت وتقاسمت معي حلو الحياة الجامعية ومرها صديقتي "نجلاء"...
- إلى كل العائلة الكريمة ،إلى كل من علمنا حرفاً في بداية مشوارنا الدراسي إلى نهايتهِ.

جهينة بابوري

إهداء

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المشَّرف بالشفاعةِ، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، وأتباعه الأخيار، نحمدُ الله ونشكره جزيل الشكر وأتم العرفان على توفيقه لنا لإنجاز هذا العمل ، فله الحمد أولاً وأخرا.

إلى من وافقت على الإشراف علينا وقدمت لنَّا كل النّصح والإرشاد الدكتورة المتميزة والخلوقة " **أحلام عثامنية**".

- إلى من أنارت دربي بنصائحها، إلى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدرب، إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنّة تحت قدميها ووقرها في كتابه العزيز " **أمي الغالية رشيدة**" رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه...
- إلى من كان ولا يزال ويبقى مثلي الأعلى، إلى من علمني الصبر والصمود مهما كانت الصعوبات، والذي أحمل اسمه بكل فخر " **أبي العزيز أحمد**" أطال الله في عمره..
- إلى من كانوا ملاذي وسندي في الحياة إخوتي الأعزاء، إلى أختي الوحيدة " حياة" التي اعتمد عليها في كل صغيرة وكبيرة، صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة...
- إلى رفيق الدرب، وصديق الأيام جميعاً بحلوها ومرّها، إلى من كان الأول دوماً في مساندتي وتشجيعي كي أحقق طموحي العلمي" **زوجي أمين**" حفظه الله وأدامه لي سنداً...
- إلى من كانت أختاً قبل صديقة، إلى من تميزت بالوفاء والعطاءِ،إلى من كانت معي على النجاح والخير صديقتي " **جهينة**"...
- كذلك أتقدم بالشكل إلى كل من ساعدني على إتمام هذا البحث وقدم لي العون وزودني بالمعلومات اللاَّزمة لإتمامه..
- إلى كل من علمني حرفاً، أهدي هذا البحث المتواضع راجيةً من المولى عزَّ وجل أن يجد القبول والنجاح .

نجلاء سبتي

مقدّمة

تعدُّ الرِّوايَّة من الأجناس الأدبيَّة المستقطبة للدَّارسين والمعاصرين، حيث احتلت مكانة كبيرة في الآونة الأخيرة، لأنّها عالجت الكثير من الموضوعات، وواكبت العديد من الظروف، لتثبت جدارتها وأحقيَّتها من خلال انفتاحها على مختلف الأنواع الأدبيَّة الأخرى.

كانت الرِّوايَّة ولازالت تشغل آراء الدَّارسين والبَّاحثين، فعمل النقاد على تطوريها وتحديد عناصرها الفنيَّة، إذ تعدَّ الرِّوايَّة فنًا نثرياً متميّزاً ورائجاً في عصرنا هذا والأكثر تداولاً وتوظيفاً لدى مجموعة الأدباء في مختلف بلدان العالم؛ إذ تتربع على عرش الفنون الأدبيّة الأخرى، وهي الوعاء الَّذي يصُّب فيها السارد أحاسيسهُ ورغباته وأفكاره الَّتي يعيشها في الواقع، وهي أيضاً من أبرز الطرق الإبداعيّة التي يقصدها الكاتب لتجسيد الأفكار وإثارة أهَّم القضايا الحسَّاسة المتصلة بالمجتمعِ، ومجالات الحياة المختلفة، كما يملك فيها الحرّية في اختيار موضوعاته، إضافةً إلى أنَّ هناك من عرّفها على أنها أوسع من القصة وذات حيز كبير وزمن طويل، إذ تختص الرِّوايَّة بقدرتها الهائلة على صهر الألوان المعرفية في توظيفها توظيفاً خلّاقاً.

وقد شهدت الرِّوايَّة العربيَّة على العموم، والجزائريَّة على الخصوص تحوّلات بارزة على مستوى الموضوعات أو التقنيات الفنيَّة، حيث خاض العديد من الروائيين الجزائريين غمار التجريب فيها، وساهموا في خلق أشكال روائيّة جديدة، عملت على كسر السَّرد القديم، ومن أبرز هؤلاء الروائيين نجد الروائي "**سعيد خطيبي**" في روايته "**أربعون عاماً في انتظار إيزابيل**"، والتي هي موضوع بحثنا الموسوم ب" صورة اليهودي في الرّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة" بوصفه موضوعاً مغرياً للبحثِ، إذ يكتسي أهمية كبرى في الوقت الراهن.

وقد دفعتنا هذه المسألة الَّتي عايناها سابقاً إلى طرح إشكاليَّة جوهريّة نصوغها فيما يلي: كيف صوّر الرِّوائيّ "**سعيد خطيبي**" اليهوديّ في روايته "**أربعون عاماً في انتظار إيزابيل**"؟ **وهذه الإشكاليّة تتفرع عنها التساؤلات الآتيّة:**

1. كيف عالج "**سعيد خطيبي**" التَّعايش من خلال روايتهِ؟
2. كيف طرحت رواية "**أربعون عاماً في انتظار إيزابيل**" موضوع الهوَّية؟
3. كيف برزت الذَّات في الرِّوايَّة؟

وعلى هذا الأساس سعينا إلى تبسيط هذه الإشكاليَّة وكذلك في التَّعرف على هذا النوع من الدراسات والبحث في مفاهيم جديدة لم نتعرف عليها من قبل، بالإضافة إلى رغبتنا في دراسة هذه الرّوايَّة الَّتي نال من خلالها الرّوائيّ جائزة " **كتاراَ** " القطريّة للرّوايَّة العربيَّة.

أمَّا الهدف الَّذي نسعى إليهِ من خلال هذه الدراسة فهو النظر إلى الرّوايَّة من زاوية مغايرة، لأنَّ هذه الرّوايَّة لم تلق اهتماماً كبيراً في هذا الجانب الَّذي غفلت عليه العديد من الدراسات الأخرى.

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليليّ الوصفيّ بهدف العثور على الثغرات والمعلومات الواجب استكمالها، وهذا وفق خطة اقتضاها البحث، فقسمناه إلى مدخل وفصلين بالإضافة إلى مقدّمة وخاتمة متبوعة بقائمة المصادر والمراجع وملحق، وفهرس للموضوعات.

تناولنا في المدخل مفاهيم نظريّة عن الرّوايَّة وأعلامها والكتاب الذين تحدثوا عن صورة اليهوديّ في رواياتهم، وجاء الفصل الأوَّل بعنوان:**"التَّعايش والاندماج وتمثلات الهوّية في الرّوايّة"**، أمَّا الفصل الثاني قسمناه إلى **"تجليات الصُّورة وتمظهرات الذَّات في الرّوايَّة"**، وفي الأخير ذُيِّل البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهَّم النتائج الَّتي توصلنا إليها وكانت عبارة عن إجابة للإشكاليَّة المطروحة.

وبما أنَّنا في هذا الصدد لابد من الإشارةِ إلى الدراساتِ السابقةِ الّتي قاربت الموضوع في جوانبهِ نذكر منها:

- صورة الآخر اليهوديّ في رواية الخلان لأمين زاوي.
- الآخر في الرّوايَّة الجزائريَّة "ابن الشعب العتيق" لأنور بن مالك.

كما زودنا البحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنها طوال مشوار هذا البحث، فاعتمدنا في ذلك بالدرجة الأولى على:

- سعيد خطيبي "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"، وبعض المراجع الأخرى متمثلة في :
- محمد سيد أحمد متولي "صورة اليهودي في الرّواية العربيّة المعاصرة".
- خولة حمدي" تمثلات الشخصية اليهودية وتجلّيات الخطاب اليهوديّ".
- عادل الأسطة " اليهودي في الرّوايَّة العربيّة، جدل الذَّات والآخر".

وكأيّ بحث واجهتنا عدّة صعوبات وعراقيل من بينها: قلّة الدراسات عن الموضوع المختار، إلى جانب تشعب الموضوع وصعوبته.

وفي الأخير نتوجه بتقديم كلمة وفاء وتقدير لجامعة "**قالمة 8ماي 1945**" الّتي احتضنت هذا البحث، كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة الدكتورة "**أحلام عثامنيّة**" ونعبر لها عن امتناننا لمتابعتها الدقيقة وصبرها، فقد أفادتنا بتوجيهاتها، فجزاها الله كل الخير على إرشاداتها.

مدخل: مفاهيم نظريَّة

أولاً: تعريف الرِّوايَّة.

أ- لغة.

ب-اصطلاحاً.

ثانياً: الرِّوايَّة الجزائريَّة.

ثالثا: أعلام الرِّوايَّة الجزائريَّة.

رابعاً: الرِّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة.

خامساً: الكُتَّاب الذين تحدثوا عن صورة اليهوديّ في رواياتهم.

عرفت الحركة الأدبيّة تطوراً كبيراً، نتج عنها ظهور أجناس أدبيَّة جديدة ولعلّ أهمّ هذه الأجناس "الرِّوايَّة" التي لقيت اهتماما وإقبالاً خاصاً من طرف الأدباء والقُراء على حدِ سواء، فالحديث عنها لا يمكن أن يمر دون أن نستأنس بتعريفها.

أولاً: تعريف الرّواية

أ– لغة:

جاء تعريف الرِّوايَّة في المعجم الوسيط، باب الراء: "(رَوَى) عَلَى البَعير...رَيًّا: اسْتقىَ، والقَومَ، وعَلَيْهم ولهُمْ: استقى لهم الماءَ...،الحديث أو الشعر، روايَّةً: حمَلهُ ونَقَلهُ فهو رَاوٍ... ويقالُ: رَوى عليه الكَذبَ، كَذَبَ عليه... (رَوىَ) من الماءِ، ونحوه –رَيًّا، ورَيًّا، ورَويَ، شَربَ وشَبعَ ويقالُ: رَوىَ الشجَرُ، والنَّبتُ تنعَّمَ فهو رَيَّان، وهو ريًّا، ريَّانة، (ج) رِواءٌ(أُرْواهُ): جعلهُ يَرْوىَ، وفلاناً الحديث أو الشعر: حاملهُ، (ج) رُواةٌ.

(**الرِّوايَّةُ**): القصَّةُ الطَّويلةُ، (الرَّوِيُّ): الشُّرْبُ التَّامُّ: يقالُ: شَربتُ شُرباً رَويًّا... وفي (علم العروض): الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة، وإليه تنسبُ يقال: قصيدة بائيَّة: إذا كان رَويُّها الباء"[1]، هنا استخلصنا المقصود من كلمة رواية بأنها تحمل معنى القول، ونقل الأخبار والإرواء سقي الماء.

كما جاء تعريفها أيضاً في لسان العرب: "الرِّواءُ: الحَبْلُ الَّذي يُرْوىَ به على البعير، أيٌّ يشدُّ به المتَّاعُ عليه، وأمَّا الحبلُ الذي يُقْرنُ بهِ البعيرانِ فهو القرنُ والقِرانُ، "**ابن الأعرابي**": الرَّويُّ السَّاقيّ، والرَّويُّ الضَّعيفُ، والسَّويُّ الصَّحيحُ البدن والعَقْل.

وروىَ الحديثَ والشِعرَ يرْويه، روايةً وتَرْواهُ، وفي حديث "**عائشة رضي الله عنها**" أنها قالت، ترْؤوا شْعْرَ جُحيَّةَ بن المضربِ فإنَّهُ يعينُ على البرّ وقد روَّاني إيَّاه، ورجلٌ راوٍ وقال الفرزدق:

أما كَانَ في مَعْدَانَ والفِيلِ شاغِلٌ * *** *** لِعَنْبَسَةَ الرَّاويّ على القَصَائِدَا ؟**

وروايَّةٌ كذلك، إذا كَثُرتْ روايّتهُ، والهاء للمبالغة في صفتهِ بالرِّوايَّةِ، ويقال: رَوَّى فُلانُ فُلاناً شِعْراً إذا رواهُ لهُ حتَّى حَفظهُ للرِّوايَّةِ عنهُ، قال "**الجَوهريّ**": رَويتُ الحديثَ والشعرَ روايةً، فأناَ راوٍ، فأناَ راوٍ في الماءِ والشعرِ من قومٍ رواةٍ، وروَّيتهُ الشعر تَرْويةً أي حمَّلتُهُ على روايتهِ، ونقول أنْشِدْ القصيدة

[1]– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة(ر.و.ى)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص384.

ياهذا، ولا تقل ارْويهاَ إلاَّ أنَّ تأمرهُ بروايتها، أيّ باستظهارِهاَ"[1]، ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أنَّ الرواية مشتقة مِنْ رَوَى، يَرْوي، ريًّا، ويعني الحمل لذلك يقال رويتُ الشعر والحديث رواية أي حملتهُ ونقلتهُ.

ب- اصطلاحاً:

إضافة إلى كون الرِّوايّة تحمل مدلولات لغويَّة متعددة، فهي بطبيعة الحال تحمل معاني اصطلاحيَّة كثيرة أطلقها الدارسين والمفكرين حيث نجدُ تعريفها عند **"آمنة يوسف"** بأنها "فَنٌ نثريّ تخيليّ طويل نسبياً بالقياس إلى فن القصة القصيرة مثلاً، وهو فن بسبب طوله يعكس عالماً من الأحداث والعلاقاتِ الواسعةِ والمغامرات المثيرة والغامضة أيضاً، وفي الرّوايةِ تكمنُ ثقافات إنسانيَّة وأدبيَّة مختلفة"[2]، كما تُعرَّف الرِّوايَّة أيضاً على أنها: "كاملة وشاملة، موضوعيَّة أو ذاتيَّة، تستعيرُ معيارها من بنية المجتمع، وتفسح مكاناً لتتعايش فيها الأنواع والأساليب كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضةجداً"[3]، إذاً تتميزُ الرواية بالكمالِ والشموليةِ في موضوعاتها، وتكون مرتبطة بالمجتمعِ، وتعكسُ الواقع بأسلوب شيَّق.

لا يوجد تعريف شامل وجامع للروايةِ كجنس أدبيّ "فتتخذ الرِّوايَّة لنفسها ألف وجهِ، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكلٍ، مما يعسر تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً، ذلك لأننا نلقى الرِّوايَّة تشترك مع الأجناس الأدبيّة الأخرى بمقدار ماتتميز عنها بخصائصها"[4]، ومنه فالرِّوايَّة من الفنون الأدبيَّة الأكثر انفتاحاً والقادرة على الإفادةِ من الفنون الأدبيَّة الأخرى، كالشعر والمسرح مثلاً وغيرهم.

ممَّا سبق يمكننا القول أنَّ الرِّوايَّة سرد نثري طويل، تسجل قضايا المجتمع البشري ككل، وتدرس وتحلل مظاهرهُ، وتكشف عن أسراره.

---

[1]- ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مادة(ر.و.ى)، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص1812.

[2]- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار فارس، بيروت، ط2، 2015، ص27.

[3]- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، بسكرة، ط2، 2015، ص27.

[4]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافةِ والفنون والآداب، الكويت، (د، ط)، 1998، ص11.

ثانياً:الرّواية الجزائريَّة:

عرفت الرِّوايَّات العربيّة بعامةٍ، والجزائريَّة بخاصةٍ تغيرات عديدة قبل أن تصل مرحلة النضج، وتخلص من أثر التقليد من أجل الإسهام في غناء المسار الرّوائيّ العالميّ وفرض هويتها على أنها مشروعاً إبداعياً له كيانهُ التَّاريخيّ، وبوصفها جنساً أدبياً حيث ظهرت متأخرة في العالم العربيّ وهذا نتيجة للظروف التَّاريخيَّة التي عرفتها الجزائر في الفترات الماضيَّة، كما تعدُّ أيضاً جزء من الرِّوايَّة العربيَّة.

فالبداية الرسميَّة للرِّوايَّةِ الجزائريَّة كانت باللغةِ الفرنسيَّة، وهذا راجع لأسباب تاريخيَّة متعلقة بالاستعمار الفرنسيّ الذي سعى إلى السيطرةِ، ولم تكن هذه الأخيرة الناطقة باللغةِ الفرنسيَّة هي الوحيدة التي استمدت مبادئها من الواقع السياسيّ والثقافيّ والاجتماعيّ....الخ، في الجزائر ماقبل الاستقلال حملت الرِّوايَّة الجزائريَّة منذ بدايتها الأولى أبعاداً إنسانيَّة واجتماعيَّة ووطنيَّة ، وإيديولوجيَّة، فأعطت الأوليَّة للقضيَّةِ الوطنيَّة والهويَّة الجزائريَّة وواكبت الواقع وتفاعلت معهُ، حيث الرواي لم ينفصل عن بيئتهِ وأرضه وأهلهِ، أمَّا الحكاية التي ترويها الرِّوايَّة الجزائريَّة فهي حكاية عن الإنسان الجزائريّ ومعاناتهِ جراء الاستعمار الفرنسيّ وماخلفهُ من دمار نفسيّ واجتماعيّ وفكريّ.

إذاً تبقى الرِّوايَّة الجزائريَّة جنس أدبيّ راقٍ يعالجُ مختلف الإشكاليات الاجتماعيَّة والفكريَّة والثقافيَّة.

ثالثاً: أعلام الرِّوايَّة الجزائريَّة:

عرفت الرِّوايَّة الجزائريَّة ازدهاراً كبيراً بظهور الروائيين برعوا فيها حيث عملوا على تطوير تقنياتها وتنويع مواضيعها، فالمبدعون الجزائريون اختاروا القلم كوسيلة للتعبير عما يختلجُ أنفسهم من مشاعر وأحاسيس، حيث اشتهر في عالم الرِّوايَّة في الجزائر مجموعة من الرِّوائيين وعلى رأسهم **"أحمد رضا حوحو"** الذي خلف عدة أعمال روائيَّة منهم: "**غادة أم القرى**"، وأيضاً الرّوائيّ: **"الطاهر وطار"** له رواية: " **اللاّز**"، "**الشمعةوالدهاليز**"، "**الزلزال**"، "**الولي الطاهر يعود إلى مقامهِ الزكيّ**"، ونجدُ الروائيّ: " **عبد الحميد هدوقة**"،من مؤلفاتهِ الروائيّة: "**الجازيّة والدراويش**"، "**ريح الجنوب**"،"**الأشعة السبعة**"، "**بان الصبح**"، إضافة إلى الروائي **"مرزاق بقطاش"** الذي أنتج" **طيور في الظهيرة**"، "**عزوز الكابران**"، "**خويا دحمان**"، "**يحدث ملا يحدث**"، والروائي **"الحبيب السائح"**له :"**زمن التمرد**"، "**الموت في وهران**"، "**تلك المحبة**"، "**أنا وحاييم**"،وأيضاً "**عبد المالك مرتاض**" لهُ" **نارٌ ونور**"، "**دماء**

ودموع خنازير"، "**وادي الظلام**"، "ثنائية **الجحيم**"، والكاتب "**عز الدين جلاوجي**" لديه: "**رأس المحنة**"، "**سراديق الحلم والفجيعة**"، " **الفراشات والغيلان**"، "**رماد الذي غسل الماء**"،....الخ.

كما نجد أيضاً الروائية "**ربيعة جلطي**" لديها: "**عرش معشق**"، "**عازب حي المرجان**"، "**قوارير شارع جميلة بوحيرد**"، "**حنين بالنعناع**"، وأيضاً الكاتبة "**أمل بوشارب**" لها : "**سكرات نجمة**"، "**ثابت ظلمة**"، "**في البدءِ كانت الكلمة**"، "**من كل قلبي**"، فهذه بعض النماذج التي بدأت تصنع لنفسها كياناً مستقلاً قصد الوصول للمجدِ الإبداعيّ الَّذي بدأ يتجسد في الإبداع النثري الجزائري.

رابعاً: الرِّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة:

الرِّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة أحد أهم النواتج الأدبيَّة، إذ تتربع على مكانة مميزة ومرموقة، وتحمل قضايا متنوعة ومختلفة إذ تعدّ الرِّوايَّة الملجأ الوحيد لكل القضايا التي تمس المجتمع العربيّ الحديث، فتعدّ من أشهر أنواع الأدب، والأكثر انفتاحاً على الأجناس الأدبيّة الأخرى، إذ هي نوع أدبيّ منفتح وسهل الهضم ومفيد وهذا ما أكسبها بريقاً ثقافيًّا وانصهاراً بين الفن والأدبِ، كما أعطاها جمالاً ورقة جعلها من أرقى وأهم الفنون الأدبيَّة.

سَهلت التجارب الرِّوائيَّة الجزائريَّة للمبدعين الشباب تبني منهجيات جديدة تختلف عن استراتيجيات المؤسسين الأوائل أمثال "**الطاهر وطار**"، "**وواسيني الأعرج**"وغيرهم، وهذا الاختلاف كان في الهياكل السرديَّة التي كانت مشتركة عن أغلب الروائيين، إذ اعتبروا التجريب هو الوجه الأساسيّ من وجوه التحوّل، وأيضاً النقد الجديد الذي أثر بصفةٍ مباشرة على وعيّ المبدع وأصبح يبدع في كتاباتهِ بنمط متلائم مع الراهن الجزائريّ من تحولات وتطورات ففتح هذا الأمر أمام المبدع الجزائريّ باباً للارتقاء بإبداعهِ الروائيّ، حيث كان عالمهُ أقرب إلى التعبير عن التجارب العاطفيّة، وكذلك التجارب المخزنة "فكانت الرّوايّة صرخة ورهاناً حقيقياً لارتقاءِ بالكتابةِ الجزائريّة إلى منزلة الذَّات المبدعة"[1]، كما يعدّ عصر النهضة الأدبيَّة والفكريَّة البؤرة الأساسيَّة لظهور عدد من المبدعين الجزائريين، لأنَّ أدبهم جاء شبيه لتحليل نفسيّ واجتماعيّ لهموم المجتمع الجزائريّ خاصةً والعربيّ عامةً، فحققت الرِّوايَّة الجزائريَّة فيه ثراء فنيّ كبير في فترة زمنيّة محدودة ما مكنَّها من تجاوز المحليَّة "لتلتحق

[1]– جليلة الطريطر، كتاب الهوية الأنثويَّة في السيرة الذاتية العربية الحديثة، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، ع195، 2008، ص06.

بمصاف العالميَّة، وذلك على يد جيل طموح توَاقْ إلى المعرفةِ، أكدَ ذاتيتهُ من خلال كتابةِ روائية تخطت الالتزام الاجتماعيّ والسياسيّ ومكنت الكاتب من التعبير عن رؤاه تجاه واقعهِ"[1].

إضافة إلى هذا فالرّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة عرفت تحولات عدّة في بناء النَّص من حيث الأشكالِ والتقنيات والمضامين، ومن خلال هذا التَّحول أصبحت الرِّوايَّة بناء تخييليّ وثقافيّ تكشف المسكوت عنهُ وتختفي بأصوات المقموعين، فتظلّ عبر التَّأمل على فجوات التَّاريخ وتضاريس الواقع ومتاهات الزَّمن، لكي يخرج في ثوبٍ أنيق يتضمن الإظهار والإخفاءِ وتعرية الواقع، وهذا كلّه كان نتيجة استفادتها من الموسيقى والسينّما والفن التَّشكيليّ والتُّراث المكتوب، والشَّفويّ والأدب العالميّ.

اتجهت الرِّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة نحو لغة التطوير والتَّجديد لتحكي مواضيعاً عن الواقع اليوميّ مبتعدةً عن كل غرض أو موضوع تقليديّ، ليتحول الإبداع إلى منفذ هام يستلهمُ منه لغتهُ السَّرديَّة، ويعكس من خلالها ذاتهُ بكل حريَّة.

خامساً: الكُتَّاب الذين تحدثوا عن صورة اليَّهوديّ في رواياتهم:

من الملاحظ في الآونةِ الأخيرة اهتمام وتوجه الكتاب الروائيين إلى الكتابةِ عن صورة اليهوديّ، وهذا يعني أنَّ الرّوايَّة كلها تتمحور حول هذه الشّخصيَّة الفرديَّة فقط، بل تعرضت إلى تأصيل وجودهِ المكانيّ والاجتماعيّ، وذلك بالتقاء شخصيات حقيقيَّة عاشت في الجزائر، ومن المحتمل أنها مازالت تعيشُ لكن بتغيير أسمائها وألقابها.

ومن هذا المنطلق نتطرق بذكر بعض الكتاب الذين تحدثوا عن صورة اليهوديّ في الروايَّةِ الجزائريَّة وأبرزهم: "**واسيني الأعرج**"، في روايتهِ "**سوناتا لأشباح القدس**"، وروايتهِ " **البيت الأندلسي**"، حيث حاول في هذين العملين أن يتجاوز الصورة السلبيَّة عن اليهود وقدم صورة لليهوديّ الطيب والقابل للتسامح والتعايش، غير أنَّ الكاتب "**أمين الزاوي**" في روايتهِ " **اليهوديّ الأخير يتمنطيط**"، كان أكثر استفزازاً حيث تجاوز فيها أسوار الدين والتَّاريخ واستطاع أن يدخل مسارات جديدة على الرِّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة، ونجد أيضاً الروائيَّة "**ربيعة جلطي**"، في روايتها "**حنين بالنعنان**" فقد تعرضت إلى الجانب العقائدي من خلال ذكرها لمزار النبيّ يوشع الذي يتخذهُ اليهود مزاراً في رحلات سريّة، أمَّا الكاتبة " **أمل بوشارب**" فتناولت في روايتها "**سكرات نجمة**" لخطر اليهود في نشر التعاليم الماسونيَّة

[1]– بوشوشة بن جمعة، مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة، بين الحكمة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، قرطاج، (د، ط)، 1992، ج1، ص07.

في الجزائر، والكاتب "**إسماعيل يبرير**"في روايتهِ "**وصية الأصواتِ للأحياءِ**"، وأيضاً الكاتب " **الحبيب السايح**" في روايتهِ " **أنا وحاييم**"، رسم فيها صورة نموذجيّة للتعايش بين الأديانِ أساسها الحوار والاحترام رافضاً التهميش، ورواية " **الصدمة**" للكاتب "**ياسمينة خضرا**"، فعرض فيها علاقة الأنا بالآخر حيث كانت الآنا ممثلةً بالهويَّة العربيَّة الفلسطينيَّة في حين كان الآخر ممثلاً باليهودي الإسرائيليّ.

إضافةً إلى الروائيّ "**سعيد خطيبي**" في روايتهِ "**أربعون عاماً في انتظار إيزابيل**"والتي تناول فيها شخصيّة يهوديَّة تحمل اسم "**جوزيف رينشار**" أو"**الحاج جوزيف**"، كما أَلِفَ النَّاس أن يدعوه فاستقر في الجزائر وأعلنَ إسلامه واختار العيش مع صديقه سليمان فهذه بعض المحاولات لفهم الآخر اليهوديّ من خلال حوار الثقافات والإبداع الفنيّ.

فصل أوّل

تجليات التعايش وتمثلات الهُوِيَّة

في رواية:

"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"

فصل أوَّل: تجلّيات التَّعايش وتمثلات الهُوِيَّة في رواية:"أبعون عاماً في انتظار إيزابيل"

مبحث أوَّل: التَّعايش والاندماج في الرِّوايَّة.

1. التَّعايش الاجتماعيّ.
2. التَّعايش الدينيّ.
3. التَّعايش الإنسانيّ.

مبحث ثانٍ: تمثلات الهُوِيَّة في الرِّوايَّة.

1. الهُوِيَّة الدينيَّة.
2. الهُوِيَّة الثقافيَّة.
3. ازدواجيَّة وانشطار الهُوِيَّة.

مبحث أوّل: التّعايش والاندماج في الرِّوايَّة:

1. التّعايش الاجتماعيّ:

ذكر التّعايش الاجتماعيّ في القرآن الكريم في قوله تعالى:{يَاأَيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ منْ ذَكرٍ وأُنْثى وجَعلناكُمْ شُعُوباً وقبَائلَ لِتعَارفُوا إنَّ أَكْرَمَكمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبير}[1]، إذ يعدُّ التّعايش الاجتماعيّ على أنَّهُ نظامٌ يجعلُ البشر أكثر انسجاماً وتعايشاً، وهذا من خلال اندفاع الإنسان للعيش مع أخيه الإنسان، بهدف بناء مجتمعاً يسودهُ الأمان والسلام وهذا لا يمكنُ إلاَّ من خلال التعامل والتّعايش مع الآخرين.

إذن فصور التّعايش الاجتماعيّ التي وصفها الإسلام تؤدي دوراً كبيراً في توطيد العلاقة بين المسلمين وغيرهم. فالتّعايش مع الآخر يجنبُ البشريَّة من الاختلافات الموجودة، سواء عرقيَّة كانت أم دينيَّة، فكرامة الإنسان مضمونة للجميع على الرّغم من اختلافهم، وهذا سواء بين كافرٍ أو مؤمن، فقد أعطى الدين الإسلاميّ صوراً جمَّة للتّعايش الاجتماعيّ مع الآخر"على ضوء ماسبق يتبين أن موقف المسلم من التّعايش السلميّ مع الآخر داخل المجتمع المسلم هو: قبول الآخر على اختلاف مللهم وأديانهم، وعدم ظلمهم أو الاعتداء عليهم"[2].

يُبنى التّعايش الاجتماعيّ في رواية "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" على أساس العلاقة التي جمعت بين كل من يهوديّ فرنسيّ يدعى(جوزيف) وعربيّ مسلم يدعى(سليمان)، وهذه العلاقة التي قامت بين الشخصيتين تتجسدُ في أفعالهم ودياناتهم والتعامل فيما بينهم داخل المجتمع الجزائريّ، على الرّغم من الاختلاف الموجود بينهم، ونجد ذلك في :

سليمان وجوزيف صديقان حاربا معاً في الحرب العالميَّة الثانيَّة، وعاشاَ معاً في بيتٍ واحدٍ بالرّغمِ من الاختلافات المتواجدة بينهما، كما تعرَّفاَ على حلاوة الحيَّاة ومرارتها وقساوتها بكل مراحلها، فصَار كلُّ واحدٍ منهما سندًا للآخر، وعلى الرَّغم من الاختلافِ في أعمارهم وأجناسهم وديانتهم لم يكن هذا حاجزاً بنيهم لبناءِ صداقةٍ وطيدة ومترابطة كانت قدوة لجميع البشر. فهي علاقة بين جزائريّ

---

[1]- سورة الحجرات، الآية [13].

[2]- حياة عبد العزيز محمد نياز، تصور مقترح لزيادة وعي طلاب الجامعات السعودية لمبدأ التّعايش السلميّ مع الآخر، مجلة العلوم التربوية، ع2، ج2، 2017، ص228.

مسلم، وفرنسي يهوديّ ويتجلّى هذا التّعايش من خلالِ قول "جوزيف": "هو كل ما أملك، هو أملي وعائلتي، سببُ خصوماتيّ وبوصلة مباهجيّ الصغيرة"[1].

إذاً ظهر التّعايش هنا من خلال عيش"جوزيف" مع "سليمان" في بيتٍ واحدٍ، فحالة هذا الاندماج كانت من أجل التغلب على أزمات الحيّاة، ولهذا فالتّعايش يجبُ أن يتحقق بالاندماج بين الأجناس المختلفة سواءاً دينياً أو عرقياً أو لغوياً. وهذا ما يعطي صورة لتقبل الآخر بكل حالاتهِ وهو مالاحظناه من خلال التمازج الكليّ بين الرفيقين وطريقة عيشهما معاً في ظلِ الظروف الصعبة التي كانت تمرُّ بها البلاد، فقط كان كلٌ منهما مكملاً للآخر.

فلاَ يجبُ أن ننكرَ أن العلاقة التي كانت بينهما هي علاقة صداقة مفعمة بالوّدِ والاحترام المتبادل، على الرَّغم من اختلاف البعد الدينيّ والوطنيّ والإنسانيّ، يقول "جوزيف": "الجميعُ يعرفُ الصلَّة الحميميَّة التي تجمعُ بيننا"[2]، ظهر التّعايش الاجتماعيّ هنا في علاقة الصداقةِ القويَّة التي ربطت "سليمان" المسلم الجزائريّ ب"جوزيف" اليهوديّ الفرنسيّ، فكوَّنَّا صداقة متينة، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنهما نموذج الاندماج النَّاجح.

إنَّ تعايش "جوزيف" في منزل "سليمان" أيّ في مكان لايشبه مكانه الأصليّ، ولكنَّهُ تأقلم واندمجَ اجتماعيًّا مع صديقهُ سليمان. كما يظهر جانبٌ آخر للتّعايش الاجتماعيّ في الرِّوايَّة وهذا عندما تعايشَ "جوزيف" مع أهل الحيّ وسكان المدينة واندمج معهم، حيث يقول:"تعلمتُ العربيَّة على يَدِ الشَّيخ البردعيّ، في المسجد الكبير، الذي نطقتُ فيه الشهادتين، على اللَّوح بالكتابةِ بالصَّمغِ، علمني الشيخ البردعي بصبرٍ وحنكةٍ حروف الهجاء والأسماءِ والأفعالِ، وكنتُ أدفعُ له كل نهاية شهرٍ ورقة[20فرنكاً] يفرحُ بها:

- بارك الله فيكَ ياسي"جوزيف" وكثر من أمثالك،
- كان يقول:" البركة فيك سيدي، العلم مايتوزن بالمال"[3].

وهنا حاول **"سعيد خطيبي"** كسر الطابوهات التي تقف في وجه التّعايش بين الأفراد مهما اختلفت دياناتهم وأجناسهم، وهذا للحفاظ على روح ونفس الآخر المختلف وتكوين كينونة متسامحة،

[1]- سعيد خطيبي، أربعون عاماً في انتظار إيزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص18.
[2]- الرّوايَّة، ص22.
[3]- الرّوايَّة، ص27.

فهو يستمدُ كتاباتهِ من الواقع ويقدم أمثلةً حيةً وحقيقية، حيث نجدهُ يركزُ على الإنسان كموضوع بعيدًا عن الأمور الشكليَّة أو العرقيَّة.

كما برز التَّعايش الاجتماعيّ بين "سليمان"، و"جوزيف" من خلال قول هذا الأخير:"جمعتنا الحربُ يومَ كان جندياً في كتيبة توليتُ قيادتها في شرقيّ فرنسا، كانَ يعلمني وقت الرَّاحة، نطق بعض الكلمات بالعربيَّة:" السلام عليكم !...خبز!..جبل! ويشرح لي مقاصد الصلاة التي كان يؤديها"[1].

وهذا مايبينُ صّلة الترابط القويّة التي جمعت كلٌ منهما، "فسليمان" قام يتعليم "جوزيف" نمط العيش في بلدهِ الجزائر، ويقول" جوزيف" أيضاً: "كانَ وكيلي وواسطتي في تعامليّ مع الجيران، يمنحونهُ الخطوة كما لو كانَ ولي أمري"[2].

لتحقيق التَّعايش لابد أن يتحقق الاندماج بين الأجناس المختلفة سواءاً عرقياً أو لغوياً أو دينياً، وهذا مايعطي نظرة لتقبل الآخر في كل حالاتهِ وهو ما لاحظناهُ من خلال التداخل والتمازج والتلاحم بين كل من " سليمان" المسلم و" جوزيف" اليهوديّ وطريقة تشبثهما بالحيّاة على الرّغم من الظروف الصعبة التي كانت تمرّ بها البلاد، حيث نجدُ هذا يتجلى في قول "جوزيف":" توحدنا على طول العقودِ الماضيَّة، في مسائل مهمة، وأخرى تافهة، حتى صارَ النَّاسُ لايفرقون بيننا، كانَ الواحدُ منَّا ممثل للآخر أمامَ الجيران والأصدقاءِ، دون حرج، عشنا حياةً متقلبة"[3].

فعندما تحدث"سعيد خطيبي" عن التَّعايش والاندماج بالاعتماد على النموذج الجزائريّ "سليمان" والفرنسيّ اليهوديّ "جوزيف"، واختلاف ديانتهما وثقافتهما وجنسيتهما فإنهُ أرادَ: " الإلحاح على وحدة الثقافةِ العربيّة، كذلك في الدعوةِ إلى إذابةِ الفوارق بين الأديان، وتأكيد أن العلاقات الإنسانيَّة هي الأصل"[4].

وعلى هذا السبيل تكونت علاقة "سليمان" و"جوزيف"، فرغم الاختلافات الموجودة بينهما لايزال في تجاذب دائم، تمكنا من تجاوز نقطة التنافر والاختلاف لأنَّ الإيمان بالآخر هو ما يحكمُ العيش بسلامٍ وهو الَّذي يعزز روح الوطنيَّة لدى البشر، ومن خلال ماتم تناوله في رواية " أربعون عاماً

[1]- الرّوايَّة، ص82.

[2]- الرّوايَّة، ص24.

[3]- الرّوايَّة، ص83.

[4]- محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ع1 إلى2، مج34، 2019، ص84.

في انتظار إيزابيل" من تعايش اجتماعيّ رغم اختلاف الأماكن واختلاف العرق واللغة إلاَّ أنَّ التَّعايش الاجتماعيّ بينهما كانَ بارزاً إذ كوَّنا علاقات أهمها علاقة الصداقة التي جمعت بينهما، فالتعايش يكمن في حسن الظن بالآخر وتقبلهُ والنظر إليهِ نظرةً إيجابيَّة ونبيلة.

2. التَّعايش الدينيّ:

الدين الإسلاميّ يدعوا إلى التَّعايش والتماسك في طوائف المجتمع والتفاهم معهم، واحترام الغير مهما كانت ديانتهُ أو أصوله لقولهِ عزَّ وجَلَ:{لاَ يَنْهَاكُمْ اللهُ عنْ الذينَ لمْ يُقاتِلوكُمْ في الدِّين ولَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيارِكُمْ أن تبرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إليهمْ إنَّ اللهَ يحبُ المقْسِطينَ[1]}، كما يدعونا أيضاً إلى عدمِ إلحاق الأذى أو الإساءةِ بهِ، ولا يجبُ على التنوع الدينيّ أن يكون نقطة ضعف الشعوبِ أو سبباً للعداوةِ، بل يجبُ أن يكون نقطة للتآلفِ والتكامل، لأنَّ الله سبحانهُ وتعالى أولى في جميع ما أنزله وبعثه لعبادهِ من أوّل الأنبياءِ أبينا "آدم عليه السلام"، إلى خاتمهم وهو الرسول "محمد صلى الله عليه وسلم" على طاعةِ الله خالق الكونِ والإيمان بجميع رسلهِ وكتبهِ وجعل الله عزَّ وجل لعبدهِ حرية الاختيار لدينهِ لقولهِ "تعالى":{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينْ}[2].

لقد تطرَّق "سعيد خطيبي" في روايتهِ إلى طرح جانب دينيّ ألاَّ وهو الإسلام الذي هو دين التَّعايش بين الشعوب، حيث يتجلى هذا في الرِّوايَّةِ من خلالِ شخصيتهِ"سليمان" الذي اتسم بحسن احترام الآخر اليهوديّ المختلف عنهُ دينياً وثقافياً وعرقياً، لأنهُ شارك معهُ في الثورةِ التحريرية الجزائريَّة ووقف في وجهِ المستعمر الفرنسيّ، وهذا ما جعل وجود نقطة ترابطٍ بين "سليمان" المسلم، و"جوزيف" اليهوديّ، من هذا المنبر سرد لنَّا الرَّاويّ كيف اعتنق"جوزيف" الدين الإسلاميّ وآمنَ بهِ وعملَ على تطبيق تعاليمه قائلاً السَّارد بلسانِ "جوزيف":" أنا تركتُ دينَ والدَّيَ وأسلمتُ بعد بضع سنواتٍ وذهبتُ إلى الحجِ، قبلتُ ستارَ الكعبة وصعدتُ إلى جبَلَ عرفة، ودَعَوتُ الله: " اللهم اغفر لي إنّي كنتُ من الظالمين"[3]، من هنا تمسك "جوزيف" بشعائر الإسلام وصار يعيشُ مع "سليمان" في بلادِ المسلمين في ظل ديننا الإسلاميّ الحنيف المتسامح والمتكامل.

[1]- سورة الممتحنة، الآية[08].

[2]- سورة الكافرون، الآية[06].

[3]- الرِّوايَّة، ص36.

كما أفصح أيضاً أنَّ صديقهُ جعلهُ يهتدي إلى الإسلام من خلال تعليمهِ كيفية أداء الصلاة حيثُ قال:"كانَ يعلمني، وقتَ الرَّاحةِ نُطقَ بعض الكلمات بالعربيةِ:" السلام عليكم!.. خبز!..جبل!"ويشرح لي مقاصد الصَّلاةِ التي كانَ يؤديها، كلما أتيحت له الفرصة"[1].

لما اعتنق "جوزيف" الإسلام أصبح معجباً بنفسهِ وفخوراً بها لدرجة أنَّهُ تمنى لو التقى بمحبوبتهِ"إيزابيل إيبرهارت" التي حاربت هي أيضاً المبادئ الأوروبيَّة واعتنقت الدين الإسلاميّ، "ويرتلُ أمامها بعضاً من صغارِ السُّورِ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ، {قُلْ هُوَ الله أَحد}و{للإيلافِ قُريشٍ} وسورة الأعلى التي أحفظها عن ظهر قلب"[2]، وأيضاً يعلمها بأنه اكتسب "حظوةٌ أفضل منها لما حفظتهُ حزباً من القرآنِ"[3]، وهذا ما جعل انبعاث السكينة في نفسهِ والطمأنينة، فلماَ أسلمَ "جوزيف" وصلَ إلى أمرينِ: عقلٌ صحيح، وتوفيق من الله عزَّوجل.

وقد مثل" سعيد خطيبي" التحالف الدينيّ بعلاقة "سليمان" المسلم و"جوزيف" اليهودي فهما مترابطانِ لدرجة لايمكن التفريق بينهما حيثُ كاناَ طِوالَ الوقتِ مع بعضهما البعض، محافظينَ على الدين الإسلاميّ وتركْ الابتداع، والابتعاد عن إتباع الأهواءِ حيث يقول:"جوزيف": "وبقيناَ نواظبُ معاً على الواجب الدّينيّ من صلاةٍ في البيتِ وفي المسجد، مقابل أن يتغاضى عن نزواتيّ الشخصيَّة، لكن لم يحصل أن تجاوزتُ حدّي وثملتُ"[4]، وهنا أصبح التَّعايش بينهم يتحقق في الحياةِ والعاداتِ اليوميَّة وبظروف ملائمة للاستقرارِ والاندماج في المجتمع.

كما تطرقت الرّوايَّة إلى عرض جوانب من عادات الجزائريين والتي تجسدت في مناسباتهم الدينيَّة، كرمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى، ووصف ما يقومون به من تقاليد حيث يقول"جوزيف": "لم يبقَ على رمضان سوى شهرين، ولم يبق لي هنا ربما سوى ثلاثة أيام، ويبدوا أنني سأصوم رمضان هذا العام، بعيداً عن هذه المدينة المحمومة"[5]، كما أخبرنا عن مشاركته في ذبح أضحية العيد مع أهل المنطقة حيث يقول:" كنتُ مكتفيًا فقط بالمشاركةِ في ذبحِ أضحية العيد الكبير، والتي كانَ يتكفل بها واحد من جزاري الحيّ، أقفُ للتفرجِ عليه ومساعدته قليلاً"[6]، إذا كان اليهوديّ الحق

[1]- الرّوايَّة، ص82.
[2]- الرّوايَّة، ص31.
[3]- الرّوايَّة، ص27.
[4]- الرّوايَّة، ص23.
[5]- الرّوايَّة، ص129.
[6]- الرّوايَّة، ص129.

في اعتناق ديننا الإسلاميّ والاحتفال بأعيادنا، غير أنَّ المسلم لايحق لهُ، ولا يشاركهم في شريعتهم ولا في دياناتهم.

وبهذا العمل فإنَّ "سليمان"يكون قد قدم صورة راقيَّة تنبعُ من أخلاق الإنسان المسلم، فهو يسعى إلى جعلِ ثقافة وديانةِ أي إنسان أجنبيّ تتلاقى مع الآخر المسلم من أجل الوصول إلى التَّعايش والاحترام المتبادل.

3. التَّعايش الإنسانيّ:

إنَّ التَّعايش الإنسانيّ هو التَّعايش مع الآخر على الرَّغمِ من الاختلافات التي بينهم، فقد ذُكرَ التَّعايش الإنسانيّ في القرآن الكريم في قولهِ عزَّ وجلَ:{يَا أيُها النَّاسُ اتقوا رَبكُمْ الذّي خَلَقكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ وخلقَ مِنْهَا زَوْجها وبَثَّ مِنْها رِجالاً كثيراً ونساءَ واتقُوا الله الذّي تَسَاءَلونَ بهِ الأرحام إنَّ الله كانَ عليكم رقيباً[1]}، فالتَّعايش أمرٌ إنسانيّ صرفْ وهو التعامل مع الغير بغض النظر عن دينهُ وجنسهُ ولونه وعرقهُ، فالإسلام ألغى التمييز بين البشر وجعلهم سواسيَّة.

التَّعايش الإنسانيّ مع الآخر وقبوله والتأقلم معهُ في وطن واحد يحقق حياة آمنة للشعوبِ وطمأنينة وهدوء تعمها المبادئ والقيَّم النبيلة.

تناول "سعيد خطيبي" في روايتهِ مبدأ التَّعايش الإنسانيّ بين الشخصيات رغم الاختلافِ الموجودة بينها، سواء من حيث الديانةِ أو غيرها من الإختلافات الأخرى كالعاداتِ والتقاليد، إلّا أنَّ هذا لاينكر وجود تقارب وإندماج بين النَّاس في شتى مجالات الحيّاة التي تحملُ كل معاني الإنسانيّة والمشاعر النبيلة، وتقديم يد العون فيما بينهم، حيث نجدُ أنَّ هذا النوع من التَّعايش يتجلى في الرِّوايَّة من خلال بعض الشخصيات:

من خلال مساندة "سليمان" لجوزيف" عند إجرائه لعملية على مستوى العين حيث يقول"جوزيف": "كان يجلسُ على طرف سريري، يميلُ بجذع جسمهِ الطّويل، يشدُّ على يدي ويكرر:

- شدة وتفوت !..طهور يالعميرة!
- الله يخليك لي! "[2].

[1]- سورة النساء، الآية[01].

[2]- الرّوايّة، ص17_18.

يتجسدُ هنا مظهر من مظاهر التّعايش الإنسانيّ حيثُ بيَّنَ لنا سليمان المسلم بأنهُ لايهتمُ بدين الآخر ولا بعرقهِ، بل بالقيمةِ الإنسانيَّة التي تعدُّ أولى من ذلك.

كما ظهر التّعايش الإنسانيّ أيضاً في شخصية "زوينة"تلك المرأة الطيبة التي كانت تأتي لمساعدة كل من "سليمان" و"جوزيف" في أشغال البيت إذ يقول: "جوزيف":" تأتي صبيحة كل ثلاثاء لتنظف البيت، تغسلُ الملابس وتقلل من عزلتنا أنا وسليمان"[1]، ويقول أيضاً: " زوينة هي الوحيدة التي تحاول الرّفع من معنوياتي، فهي تعتقد أنني لم أهرم"[2]، تبرزُ لنَّا الرّوايَّة جانباً إنسانيًّا في شخصيَّة "زوينة" من خلال الرحمة وتقديم المساعدة، دون مراعاة الدين أو العقيدة أو الانتماء، فالإنسانيَّة تظهر من خلال تبادل المساعدة بين الطرفين"عادةً ما كنتُ أكرمها بنقودٍ زيادة، فقد كانت من حين لآخر تطبخُ لنَّا وتجلبُ لنا لبناً أو منقوع تمر"[3].

كما تظهر الإنسانيَّة في مساعدة الغير مهما كان دينهُ، فالتعايش الإنسانيّ يحثُ على الرحمةِ ومد يَدْ المساعدة للطرفِ الآخر وهذا ما يظهر في قول"جوزيف":"لقد سبق لي أن أقرضتُ الكثيرين مالاً، من جيران ومن أشخاص، لم أكن أعرفهم كما ينبغي، ولم يعيدوا لي ما اقترضوه منّي، لكن لم أتحرَّج، أتفهم وضع النَّاس الصعب وأتغاضى في حالاتٍ كثيرة عنهم"[4].

إذًا فالرّوايَّة تحملُ لنا قيَّم التعايش الإنسانيّ بامتياز وكل جوانبه النبيلةِ بين المسلمين وغيرهم وأبرز مثال على ذلك"سليمان" و"جوزيف" اليهوديّ وهذا يظهر في: "مانخليكش وحدك يالعميرة، ماكانش الأمان كان يخاطبني"[5].

وعليه فالتعايش الإنسانيّ سنة من سنن الله تعالى، فهو يصور لنَّا أسمى معاني الإنسَّانيَّة التي لاتعيرُ اهتماماً للفروقاتِ العقائديَّة عندما يتعلق الأمر بحياة الإنسانِ.

وأخيراً فإنَّ الرؤيَّة التي تقدمها الرّوايَّة هي التصالح والتعايش بين المسلمين واليهود.

---

[1]- الرّوايّة، ص37.

[2]- الرّوايّة، ص37.

[3]- الرّوايّة، ص 39.

[4]- الرّوايّة، ص 85.

[5]- الرّوايّة، ص 87.

مبحث ثانٍ: تمثلات الهُوِيَّة في روايَّة" أربعون عاماً في إنتظار إيزابيل"

ينفتحُ معنى الهُوِيَّة على الاختلافِ والتحوّل، فتمثلاتها في عدّة نصوص روائيّة هو الوقوف على تعدد أبعادها سواء على صعيد العرق أو اللغةِ أو الدين، حيث"ظل السؤال الهُوِيَّة يجسد ملامح الهُوِيَّة في الرّوِايَّةِ العربيَّة، ولذا كانت كتابات الروائيين العرب عامةً تؤكد على التعبير عن الوحدةِ، وتشيرُ إلى مظاهر تنوع الثقافةِ العربيَّة الجديثة وغناها، ولقد أبرزت معظم الأعمال شظايا ملامح لهويَّات محليَّة متناثرة، تتناولُ الحرص على تفعيل ملامح من الهُوِيَّة المحليَّة مثل التركيز على إيجاد للذَّاتِ"[1]، يلحُ الرّوائيّون على العودةِ إلى الذَّاتِ التّمسكِ بها والارتباط بالأرضِ والوطنِ، كما تعدُّ مشكلة الهُوِيَّة من أكثر المسائل إثارة في السَّردِ الجزائريّ، لأنَّها أهم شيء تداولهُ الروائيّ الجزائريّ في أعمالهِ، ولكن روائيّ منهج خاص في رصد الهُوِيَّة، كما أنَّها تثيرُ الكثيرَ من الغموضِ، وأشعلت اهتماماها عدّة في ميدانِ البحثِ، من هنا لم تعدّ قضيّة الهُوِيَّة في الرّوِايَّةِ الجزائريَّة مجرد موضوع روائيّ فحسب، إنما هي إشكاليَّة ثقافيَّة حضاريَّة وجدَ فيها الروائيون مادة غنيَّة من الطرحِ"[2]، إذاً فالهُوِيَّة هي تعبير عن دين الفرد أو اللغة أو الوطن أو التاريخ أو العادات أو الثقافةِ، فلولاها لما حافظت الأهم على حضارتها.

الهُوِيَّة بشكلٍ كبير، ولعل الظروف السّياسيَّة هي التي جمعت بين الأنا الجزائريّ والآخر الفرنسيّ كالاستعمار الفرنسيّ أو الثورة التَّحريريّة.

1. الهُوِيَّة الدينيَّة:

الهُوِيَّة هي معيار أساسيّ في التعريف بمعالم الشَّخصيَّة الإنسانيَّة وتحديد وجودها، ورواية "سعيد خطيبي"، "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"، من أبرز الرّوايات العربيَّة التي تمثل علاقة المسلم باليهوديّ وتشكيل الهُوِيَّة التي هي كلمة منسوبة إلى ضمير "هُو"، ففيها نميز شيئاً عن شيء أو شخصاً عن شخص، ومسألة الهُوِيَّة المطروحة في هذه الرّوايّة تكمنُ في علاقة الأنا بالآخرِ من حيث محاولة معرفة من هو جوزيف؟ وهل هو عربيّ أو فرنسيّ؟ مسلم أم يهوديّ؟

---

[1]– هاجر مباركي، محمد سعدي: إشكالية الهُوِيَّة في الرّوِايَّةِ العربية(معالم اغتراب أم بوادر استلاب)، مجلة دراسات أدبية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ع6، جوان2018، ص136.

[2]– نبيلة فراحتية، نعيمة بوزيدي: تشظي الهويّة وانشطار الذّات في الخطاب الروائي الجزائري مابعد الكولونيالي، قراءة في روايتي" الانطباع الأخير" و"مالا تذروه الرياح"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة(2)، ع1، مج13، مارس2021، ص750.

فما وضحتهُ الرّوايَّة هو أنّض بطلها "جوزيف رينشار"أو كما كان يطلق عليه "الحاج جوزيف"، أنَّهُ لم يفهم حقيقة الإسلام، وهذا ما جعلهُ يميل تارةً إلى الدين الإسلاميّ وتارة أخرى إلى الدين اليهوديّ (المسيحيَّة)، وتجلى هذا في قولهِ: "خرجتُ من الزاويّة وأنا أستغفرُ الله وأسبحُ بحمدهِ"[1]، فمن جهة يميل إلى أصلهِ ومن ناحيّة أخرى يغرسُ في نفسهِ الانتماء للدين الإسلاميّ لأنهُ قد تخلى عن كل ما يربطهُ بذلك الدين من عاداتٍ ومقوماتٍ وقد صرح عن هذا أيضاً في قولهِ:"امتنعت منذ أربعين عاماً من الاحتفالِ بعيد القديسين في الفاتحِ من كل شهر نوفمبر، وتقاضيتُ عن عيد الفصح، وعيد الصعود وعيد الخميس، وانتقال العذراء وكل المناسبات الكاثوليكية الأخرى التي ورثتها من أمي، ومن طفولتي في فرنسا، تنازلتُ عنها"[2]، فهذا التصريح الذي صرحهُ "جوزيف" يضعنا أمام شخصية متميزة تخلت عن ثوبها الحقيقيّ الذي هو الدين المسيحي، وتتنازل عن شعائرها الدينيّة التي تشبعت بها منذ ولادتها لكي ترتدي ثوباً جديداً حقق لها اطمئناناً نفسياً وإحساساً مريح من قيّم جديدة يمليها عليها المجتمع الذي تعيش فيه، كما تعدُّ الكنيسة أيضاً "لجوزيف" عنوان هوّيتهِ وماضيهِ فهي بمثابةِ المصباحِ الذي ينيرُ ذاكرتهُ التي طمست بسبب غربتهِ في الجزائر حيث يقول: " في الماضيّ كانت تصل المتعبدين من المسيحين على قلتهم، أطباق من الأكلات الشعبيَّة إلى الكنيسة"[3]، فهنا تتبدى لنّا شخصيّة ممتزجة بالدّيانات، وهذا دليل على أنهُ ليس على قناعة تامةٍ بالدين الإسلاميّ.

2. الهُوِيَّة الثقافيَّة:

تطرق الروائيّ أيضاً إلى طرح مسألة الهُوِيَّة الثقافيَّة التي عاشها "جوزيف" في مدينة "بوسعادة" مبيناً العادات والمظاهر والأعراف التي يختصُ بها المجتمع الجزائريّ، حيث قال:"في حي الأقواسِ، دائماً توجدُ مقبرة السنة التي تنزل إليها كل يوم إثنين"[4]، كان "جوزيف" يرصد سلوكيات المجتمع الجزائريّ مع الانتباهِ إلى أدق التفاصيل، وأيضاً نجدُ بعض العبارات باللهجةِ العاميَّة من طرف "الحاج جوزيف"، محاولة من الروائيّ إبراز بعض ملامح الهُوِيَّة الجزائريَّةِ لدى بطل الرّوايَّةِ، فتجلى هذا في شخصيَّات الرّوايَّة مثل شخصيَّة "سليمان" وصديقهُ "جوزيف" اللذانِ كاناَ يتبادلانِ الحوار باللّهجةِ العاميَّة حيث يقول: "واش يقولوا علينا النَّاس"؟ تساءل بنرفزةٍ.

---

[1]- الرّوايّة، ص72.

[2]- الرّوايّة، ص131.

[3]- الرّوايّة، ص53.

[4]- ا لرّوايَّة، ص56.

- مافيها حتى عيب، المرأة حابة تخدم على شرها.
- راح يتمتم كلمات لم أفهمها معبراً على عدم رضاه وأضاف:
- أنت تحب تجيب العيب وكلام الجيران"[1].
- كما نجدُ حواراً آخر مع "مليكة"إحدى بنات الحيّ و"جوزيف" بالعاميَّةِ:
- "واش راك عمي الحاجْ؟
- بخير يابنتي...
- واش راه عمي سليمان...
- لاباس عليه..."[2].

فهذا الاختيار للهجةِ العاميَّة هو محاولة للروائيّ أن يبرز ملامح الهُوِيَّة الجزائريّة لدى بطل الرّوايَّة. كما يأتي المثل الشَّعبيّ في الرّوايَّةِ أيضاً من أجل إدراكِ التجربةِ الواقعيَّةِ أو المتخيَّلة، كما أنَّهُ يمثل أيضاً صورة مباشرة لأحوال المجتمع، إذْ يقول الراهب "برنار" مخاطباً "الحاج جوزيف": "اللي ما هام ما عام مايعرف قداش نهار في العام"[3]، ويقول"جوزيف": "عاش ماكسب مات ماخلى"[4]، كما يقول "سليمان" أيضاً: " اللي خلق مايضيع"[5]، "واللي فات مات"[6]، فهذه الأمثال دليل على أنَّها أحد أهم مرتكزات الهُوِيَّة، والتي تمثل أبرز خصوصيَّات الشعوب وأصالتهم وعمق هوّيتهم.

3. ازدواجيَّة وانشطار الهُوِيَّة:

من الأشياءِ التي يجبُ إدراكها هي أنَّ الهُوِيَّة تكون دائماً مرتبطة وعلى الدوامِ بالإنسانِ، وهذا الأخير لا يمكنهُ الانفصال عنها، فهي من أهَّم العناصر التي يحتاجها الإنسان للاندماج والتَّأقلم مع الجماعةِ وفي المجتمعِ، إذ لا يمكنُ أن تتحقق هُويّتهُ إلاَّ إذا حققَ إنتماءهُ في الجماعةِ التي يعيشُ فيها، وعليه"فالهويَّةِ في الحالةِ النِّهائيَّةِ التي ترغبُ الذَّات في أن تكون عليها أو تظهر فيها وأن تتميز بها عن

[1]- الرّوايَّة، ص38.
[2]- الرّوايَّة، ص40.
[3]- الرّوايَّة، ص35.
[4]- الرّوايَّة، ص103.
[5]- الرّوايَّة، ص106.
[6]- الرّوايَّة، ص156.

غيرها"[1]، تعرضُ لنَّا روايَّة "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" ماهيّة الهُوِيَّة الجديدة للبطل"جوزيف"، الذي يقيمُ في وطن غير وطنهِ الأصليّ(فرنسا)، والذي يسعى من خلاله إلى إبراز هويتهِ وتحديدها، فهو يعيش بين هويتين مختلفتينِ، أولها هوّيّة الفرنسيّ اليهوديّ وثانيها هوّية الجزائريّ المسلم إذ نجدهُ يقول:" أعيشُ يهويتين، بوجهينِ، الأول لفرنسيّ قروي قديم، خاض حرباً عالميَّة، والوجه الثانيّ لجزائريّ دخيل شاركَ في الحربِ التَّحريريَّة"[2]، كما أنَّ "جوزيف" يسعى في الرِّوايَّةِ إلى إبرازِ وتحديد هويته من خلال هويّة البطلة الغائبة "إيزابيل إيبرهارت"، وهي أديبة ومراسلة ذات أصول سويسريّة، انتقلت للعيشِ في الجزائرِ وقامت بالتّرحالِ بين مدنها وأرجاءها، حيثُ اشتهرت بحياتها البدويَّة وحبها لصحراءِ الجزائر، فمن خلال التشابهِ بين شخصية "إيزابيل" وشخصيّة "جوزيف"، اكتشف هذا الأخير ذاتهُ من جديد، فهو يعتقدُ أنهُ امتداد لها، إذ يقول:" إيزابيل كانت صورة مؤنثة مني، نصرانيّة متأسلمة، قلقة وملغونة، لاهي أوروبيَّة ولاهي عربيَّة"[3]، ويقول "جوزيف" أيضاً: "لقد هجرتُ بلدي، ولم أعد أعرفُ عنهُ شيئاً، مثل إيزابيل التي لم تعرف شيئاً عن بلدها الأصليّ وروسيا"[4]، وهذا مايدل على وجود رابط يربط كل منهما بالآخر، ربما يكون هذا سببهُ تجربة السفر التي خاضها إلى نفس المكان (الجزائر)، كما يمكن أن يكون خوف "جوزيف" من أن يحدث لهُ نفس المصير الذي حدث مع "إيزابيل"، إذ نجدهُ يقول: " سأرسمُ لوحتينِ أخيرتينِ ليوميات "إيزابيل إيبرهارت"، أردمهما في حديقة البيت، بين الكرمة وشجرة الليمون، وسأفعل الشيء نفسهُ مع اللَّوحات الثلاث عشر الأخرى، وأبتلعُ كالعادة كلمات سليمان الصاخبة ولعناتهِ، لن أرد على لومهِ لي بأنها فعلة مخلة بأخلاقِ الفن، فقريباً سيدركُ أني عشتُ لأرسم وأدفن فنيّ"[5]، إذاً "جوزيف" هنا عرفَ حقَّ المعرفةِ أن المصير الذي ينتظرهُ هو نفسهُ المصير الذي ينتظرهُ هو نفسهُ الذي لاقتهُ "إيزابيل" والتي تلاشت كتاباتها وضاعت في صحراءِ الجنوب.

إذاً فحالة التَّأزم لذات "جوزيف" أضحتْ تتجاذبها حالة من الصراعِ، فكانت نتيجة الاغترابِ النَّفسيّ والذَّاتيّ لهُ، وهذا ما تولى عنهُ صراع داخليّ لدى البطل "جوزيف"، فتجاذبتهُ الصراعات بين عيشهِ في كنفِ الوطن (الجزائر) ووعيّه بأصلهِ وهويتهِ، وهذا التجاذب جعلهُ يعيشُ تشرذماً وضياعاً

[1]- دليلة مروك، انشطار الذّات وسؤال الهوية، مجلة العلوم الإنسانية، ع47، مج أ، جوان2017، ص422.

[2]- الرواية، ص155.

[3]- الرّوايَّة، ص26.

[4]- الرّوايّة، ص141.

[5]- الرّوايّة، ص11.

داخلياً، بل ولد فيه شعور بالاغتراب والانهيار والضعف لكونهِ آخرٌ في نظرِ الجزائريين حيث يقول:" النَّاس لم يستوعبوا كيف لفرنسيّ ميسور الحال، يتركُ بيتهُ المريح في الضاحيّة الباريسيّة، يتخلى عن حياة التَّرف المباحة، ويزاحمهم مشقةَ العيشِ"[1]، بدا التّناقض والتّغاير واضحاً كل الوضوحِ في شخصيّة "جوزيف"، فهو يعيشُ في وضعيتينِ مختلفتينِ بين الجزائرِ وفرنسا، وبين هويّة مسلم وهويّة يهوديّ منكراً لذّاتهِ في محاولةِ الانتماءِ وسالباً نفسهُ حق الانتماءِ إلى أيةِ جماعةٍ أوقبيلة، إذ يقول:" أنا لا أنتمي لأيةِ قبيلةٍ من القبائلِ"[2]، أيّ أنَّ "جوزيف" ينفي عن نفسهِ الانتماء للوطنِ الجديد (الجزائر)، فذاتهُ هنا تذهب إلى حالة الانفصال النّسبيّ، فهو لايستطيع تغيير روحهُ وعواطفهُ التي ارتطمت بإختلافات مغايرة عنهُ كما أنَّهُ لا يفكر مثلهم ولا يملكُ نظم عيشهم فقد ولدت له تجربة العيّش في الجزائر تناقضاً وانفصالاً مع ذاتهِ وهوّيتهِ ليجدَ نفسهُ يعيشُ في ذات مزدوجة، كما يرى نفسهُ دائماً بعيداً عن المكان الموجود فيه.

إذ كان يعيشُ انشطاراً ذاتيًّا بين الهُنا والهناك، إذْ يقول:"أعيشُ بهويتينِ"[3]، ويقول أيضاً: "فلا أنا جزائريّ كما يلزم لجزائريّ أن يكون، رغم باسبوري الأخضر...ولا أنا فرنسيّ كما يليق بابن عائلة عريقة تمتدُ إلى قرون من الزَّمنِ"[4]، أيّ أنَّ "جوزيف" أصبح يعيشُ في حيرةٍ وتيهٍ ولَّد لهُ الشك والرَّيب في قدرتهِ وحبهِ للحياةِ، فيقول:" أنا رجلٌ ميؤوس من حالهِ، شبه رجل، أو حطام كائن حيّ، أرسمُ وأكتب ولا أفعل شيئاً آخر، غير انتظار مصير محتوم"[5]، كما يقول أيضاً:" أتصوَّرُ الأرض وهي تدور الأن، تسرعُ في دورانها وتطرحُ الزوائدَ من البشرِ، الذينَ يثقلون حركتها مثلي خارجها، تتركهم يسبحون في الفضاءِ اللامتناهي بلا وجهةٍ، كجثثٍ بلا هويةٍ"[6]، فالبحثُ عن الهُوِيَّةِ جديدة وهذا مالمسناهُ في روايةِ "أربعون عاماً في انتظارِ إيزابيل"، فالبطلُ "جوزيف"يعترفُ بانتمائه للوطنِ الجديد الذي انتقلَ إليهِ، لكنهُ لايزال في صراعٍ داخليّ بينهُ وبين نفسهِ وهذا من خلالِ الحنين إلى الأصل والإنتماءِ إلى الجديد، وهنا تتبين لنَّا أنَّ شَخصيَّة السَّارد تعيشُ في حالةِ انفصال مع الهُوِيَّةِ.

---

[1]- الرّوايَة، ص102.

[2]- الرّوايَة، ص102.

[3]- الرّوايَة، ص155.

[4]- الرّوايَة، ص90_91.

[5]- الرّوايَة، ص45.

[6]- الرّوايَة، ص45.

فمع مرور الوقت أصبحَ "جوزيف" يشتاقُ إلى زيارةِ بلدهِ ويحنُ إلى موطنهِ الأصليّ(فرنسا)، لذلك أرادَ أن ينتقلَ للعيشِ هناك، وهذا الانتقال ليس مرتبط بإرادةِ العودة بل بهويتهِ وانتمائه الحقيقيّ، فهذا الرجوع يمثل العودة إلى الأصلِ والشَّخصيّة والهُوِيَّة وعليه فالانشطار والازدواجيّة في الهُوِيَّة تجعلُ الذَّات تدركُ أهمية الاختلاف عند الآخرين، وعلى الرغمِ من انزياحِ الذّاتِ عن هويّتها إلاَّ أنَّ جذور الانتماء إلى الوطنِ تبقى متأصلة، فنحنُ إليهِ نعِي الفارق بينهما وبين الآخر[1]"، لأنَّ الانتماء للوطنِ يعدُّ أقوى ارتباطاً بالأرضِ والوطنِ والهُوِيَّةِ أي نشأ عقد بينهُ وبين وطنهِ لا تزول بُنودهُ.

[1]- نبيلة فراحتية، نعيمة بوزيدي، تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري مابعد الكولونيالي، ص766.

فصل ثانٍ
تجليات الصُّورة وتمظهرات الذَّات
في رِوايَّةِ:
"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"

فصل ثانٍ: تجلّيات الصُّورة وتمظهرات الذَّات في رِوايَّةِ:"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"

مبحث أوّل:تجلّيات الصُّورة في الرِّوايَّةِ.

1. صورة اليهوديّ للمسلم.

أ_النَّظرة السِّلبيَّة.

ب_النَّظرة الإيجابيَّة.

2. صورة المسلم لليهوديّ.

أ_ النَّظرة السِّلبيَّة.

ب_النَّظرة الإيجابيَّة.

3. صورة المرأة لليهوديّ في الرِّوايَّة.

مبحث ثانٍ: تمظهرات الذَّات في الرِّوايَّةِ.

1.الذَّات القلقة.

2.الذّات التَّائهة.

مبحث أوّل: تجلّيات الصُّورة في الرِّوايَةِ

لقد دأبَ العديد من الشعراء بعامةٍ والكتاب الرِّوائيين بخاصةٍ على إعطاءِ وتقديم صورة سلبيَّة لليهودِ، حيثُ بدت صورتهُ بأنها مليئة بالنّقائضِ، "فظهر اليهوديّ في العالم فيما سبق على هيئتهِ شريرة، وهذا ما تداولته الألسنة ووجهات نظر الطوائف الأخرى، وما جسدهُ الأدب من خلال الدراسات والكتابات السَّابقة في هذا الموضوع، سواءاً الآداب الغربية أو العربية، وخاصة في الرِّوايَّة باعتبارها تمثيلاً وتجسيداً لمَا هو في أعماق المجتمعِ، وهذا ما نراهُ في بعض الروايات العربيّة، التي تناولت علاقة اليهود بالمسلمين الخاصة، وذلك أنَّ الإسلام هو آخر الدياناتِ وقد وجه إلى البشريَّة جمعاء، ومن الطبيعي أن يتحاور ويتصادم مع ديانات سماويّة أخرى"[1]، إذاً أصبحت صورة اليَّهوديّ من أبرز الموضوعات في الأبحاثِ الأكاديمية، وعليه فقد كثرت وتنوعت الرّوايات التي عالجت هذه القضيّة في المخيلةِ العربيّة. حيث قامت بدراسة صورة اليهويّ وطبيعة الشخصيَّة اليَّهوديَّة في الأعمال الأدبيَّة بعامةٍ والأعمال الرّوائيَّة بخاصةٍ، "فقد كتب الدارسون العرب عن صورة اليَّهوديّ في الأدب العربيّ منذ نهاية القرن التَّاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين"[2]، هذا مادفع بالرّوائيين إلى التفرد والدراسةِ والبحث في قضية صورة اليهوديّ، فصفة "اليّهوديّ" أو "اليَّهوديَّة"، لم تعد تعبرُ عن الانتماء العرقيّ والهُوِيَّة والقوميَّة، والطبيعة الشخصيَّة، والسِّمات النَّفسيةِ المشتركة لمن يعتنقون هذا الدين"[3]، وعليه شغل الدين مساحة واسعة في الرِّوايات العربيَّة لاسيما ما ارتبط منه بالتَّعصب الدّينيّ وتمثيل بعض الصور الخاطئة حول العقائديّة، ومن تلك الصور قضيّة اليهود وكل ما يشوّه صورتهم.

فالدِّيانة اليّهوديّة من أقدم الديانات، إذ تعود إلى النَّبيّ" موسى عليه السلام" الذي أرسل إلى بني إسرائيل، لكن الرِّوائيين سَعَوْ لاستحضار شخصيَّة اليَّهوديّ قصد إنصافها إنسانيًّا، فالأحكام المسبقة تؤكد أنَّ: "اليَّهوديّ بخيل، قذر، حاقد، منافق، دمويّ، غادر، غارق في الجنس، عبد للمالِ، لايعرفُ القيَّم ولا المبادئ والأخلاق، انتهازي يطوّع كل شيء من أجل تحقيق مصالحهِ وإشباع شهواتهِ"[4]، هذا القول يظهر لنّا أنَّ اليّهوديّة لم تعد ديناً بل أصبحت تعبرُ عن شخصيّة ينتسبُ إليها

[1]– محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهوديّ في الرّواية العربية العاصرة، رؤية سرديّة مغايرة، ص23.

[2]– عادل الأسطة، اليهودي في الرواية العربية، جدل الذات والآخر، رام الله، ط1، 2012، ص02.

[3]– خولة حمدي، تمثلات الشخصيَّة اليَّهوديَّة وتجليات الخطاب اليهودي، مجلة القارئ للدرساتِ الأدبية واللغوية، المسيلة، مج4، 2021، ص135.

[4]– محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهودي في الرِّواية العربية المعاصرة، رؤية سرديَّة مغايرة، ص23.

اليَّهوديّ، فاليّهودي هو أولاً يهودي وبعدها بإمكانهِ أن يكون أيَّ شيء آخر، فمثلاً أن يكون يهودياً أمريكياً، يهودياً روسياً، يهودياً فرنسيًا، فمهما انتقل من هويّة إلى هويّة أو من جنسيّة إلى جنسيّة أخرى سيبقى أولاً وأخيراً يهودياً وكذلك لو انتقل من دين إلى لآخر، فمثلاً لو اعتنق البوذيَّة فهو يهوديّ بوذي، ولو اعتنق المسيحيّة فهو يهوديّ مسيحيّ، فالانتقال من دين إلى دين كالانتقال من بلدٍ إلى بلد يبقى المهاجر فيها محتفظاً بشخصيته ومتمسكاً بتقاليدهِ مهما عاشَ في بلدِ المهجر.

لقد سعى الرّوائيون لاستحضارِ شخصيّة اليَّهوديّ في رواياتهم قصد إنصافها إنسانياً، "فعلينا ألاَّ ننسى صورة أخرى لليهود ظهرت في فترات لاحقة للعصر الوسيط وبخاصةٍ في عصر التنوير، أبرزت بعض الأعمال صورة إيجابيّة لليهوديّ هي صورة اليَّهوديّ النبيل، اليَّهوديّ المتساميّ، اليَّهوديّ الذي يقفُ إلى جانب الآخر.. يبدو اليَّهوديّ هنا ذا قلب واسع، ويبدو مستعداً للمساعدةِ وكريماً، إنهُ يفكر بنبلٍ، وهو حكيمٌ ومتسامحٌ"[1]، جاءت هذه النظرة مخالفة للنظرة الأولى التي بينت الصّفة الشريرة لليهوديّ، إذ نرى أنَّ الرِّوايات العربيّة الحديثة قد غيَّرت مجرى تلك النظرة تدريجياّ، وبدأت تلك الصورة المتداولة والراسخة في أذهان العامة تتغيرُ شيئاً فشيئاً، وهذا بفضلِ الأدب، حيث تكفل العديد من الأدباءِ بإظهار اليَّهوديّ بصورة مغايرة مع يليقُ به من أوصافٍ إيجابيّة كالذكاءِ وحب المساعدة، فأصبح اليَّهوديّ يدرسُ في رواياتهم من الجانب المشرق فيه، وهذا ما يمكنهُ من اكتساب صفة اليَّهوديّ النبيل.

1. صورة اليَّهوديّ للمسلم:

أ–النَّظرةُ السِّلبيَّة:

لقد تطرَّقت رواية "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" لقضيَّة الآخر اليَّهوديّ التي تغاضت عنها الأعيّن الأدبيَّة الجزائريَّة، إذ صوَّر لنَّا "سعيد خطيبي" في روايتهِ موقف المسلم الجزائريّ تجاه اليَّهوديّ الفرنسيّ"جوزيف"، ومن هنا جاءت محاولتنا في إبراز الصورة التي رسمها الرِّوائيّ عن الآخر اليهوديّ وهذا يظهر جلياً في قولهِ: "فلستُ سوى فرنسيّ تافه، قرّر أن يساير حماقته ويعيش في هذه البقعة الموبوءة بالخلافات القبليّة، جيراني لايعرفون عنّي سوى القليل، أوربما لا يريدون معرفة الكثير...لايقدمونَ لي دعوة مباشرة...هم هكذا، يعتبرونني قاصراً"[2]، هذا القول يبين لنَّا أنَّ نظرة

[1]– عادل الأسطة، اليهودي في الرواية العربية، جدل الذات والآخر، ص10.

[2]– الرّوايّة، ص24.

المسلمين "لجوزيف" كانت نظرة احتقار وتقليل من الشأن، فهم لا يرونه أحد منهم بل على العكس من ذلك فهم يرونهُ دخيل عليهم وعلى دينهم، فهو وعلى الرَّغمِ من المدة الزمنيّة التي قضاها في مدينةِ "بوسعادة" مع أهلها وسكانها إلاَّ أنَّهُ غدا فيها غريباً عنهم.

كما نقلت لنَّا الرِّوايَّة جانباً آخر من جوانب الرفضِ للآخر اليَّهوديّ، والمبنيّ على الكراهيةِ والذي يمثلهُ "عبد الكريم طيطي" بقولهِ: " المدينة كلاوها البرانيّة(الأجانب)"[1]، وهنا نجد "عبد الكريم طيطي" يصرح برفضهِ التَّام "لجوزيف" الذي يراهُ أجنبياً ودخيلاً على وطنهم، وفي السيَّاقِ نفسهُ يظهر لنَّا "جوزيف" نظرة الاحتقار التي يبديها لهُ "عبد الكريم طيطي" إذ يقول: "هو من النوع الذي يراني أجنبياً رومياً، وليس مسلماً كامل الإسلام ولامطيعاً متماً لأركان الدِّين الخمسة"[2].

كما تظهر الرِّوايَّة أيضاً علاقة الرفض الازدراء ذاتها اتجاه "جوزيف" فيقول: "هم طبعاً لن يستثنوا بيتي من قائمة التأميمات ولن يولوا اهتماماً لأربعين عاماً التي قضيتها بينهم، أبعون عاماً أفنيتها في الصَّلاةِ في مساجدهم وفي اقتسامِ الخبز والماءِ والهواءِ معهم"[3]، يتبين في هذا القول عدم الاكتراث لليَّهوديّ "جوزيف" ورفضه بينهم، إذ لم يولوا أيّ اهتمام بالأعوامِ التي قضاها معهم، ولم تتغير نظرتهم له كونهُ يهودياً دخيلاً عليهم، وعلى أرضهم وسالباً لممتلكاتهم، فعلى الرَّغمِ من صلاتهِ معهم في مساجدهم واقتسام المأكل والمشرب معهم لم يعيروه أيّ اهتمام.

في السيّاق نفسه نجد بروز الرّفض واللاّمبالاة نحو"جوزيف" من طرف " الحاج العطويّ" وابنه "مراد" الذي تعمّد أن يكتب يوماً على جدار منزله بصبغٍ أحمر "جوزيف الحركيّ(الخائن)"[4]، وغير بعيد عن ذلك نجد "الحاج العطوي" يعبر عن موقفه اتجاه "جوزيف" فيقول:" ياقواد فرنسا...! سأنتقم منك...! "[5]، هنا أيضاً يتمثل لنّا العداء الصريح للآخر اليَّهوديّ ويتبين لنَّا الكره والرفض لجوزيف واعتبارهِ منافقاً وخادعاً، فعلاقة الرفض هنا نابعة من أحكام مسبقة عن اليهوديّ باعتباره العدو والمستعمر.

---

[1]- الرّوايّة، ص132.

[2]- الرِّوايّة، ص42.

[3]- الرّوايّة، ص13.

[4]- الرّوايّة، ص144.

[5]- الرّوايّة، ص144.

كما يبدوا أيضاً أنَّ سكان مدينة "بوسعادة" منقلبين على محبيهم ويملكون مشاعر معادية لليهودِ بالرغمِ من أن مسيحيين مادامو غيرَ متحابين، إذ نجدُ "جوزيف" يقول عكس ذلك: "فالكل باتَ يعامل "المرابو"، كما يسميه أهل المدينة، بحذرٍ وسوءِ نيَّة، لا أحد يبادلنا الهدايا، ولا حتى التَّحيَّة"[1]، في هذا القول نجدُ تجلّي النَّظرة السّلبيّة لليهوديّ"جوزيفّ"، والمتجسدة في سوء المعاملة فهو في نظرهم العدو الذي يشكل الخطر ويهدد دينهم وعقيدتهم.

نجدُ الصُّورة السّلبيّة في الرِّوايَّة أيضاً تتجلى من خلالِ التَّهميش واللاَّمبالاة للآخر اليَّهوديّ، وهذا يظهر في قول"جوزيف": "لن يبالوا باللَّوحات التّي رسمتها، ولا المعارض التّي أقمتها أو شاركتُ فيها، وقريباً سأجدُ نفسيّ في العراءِ مضطراً للعودةِ من حيث جئتُ"[2]، هذا القول يبرزُ نظرة سلبيّة تحمل وجهات نظر معاديّة للآخر مع رفضهِ وعدم الاكتراث لأمرِه.

لابد أن نعلم بأنَّ علاقة المسلم باليّهوديّ هي عبارة عن جدلٍ قائم منذ الأزل، ولربما تعود جذوره إلى زمن بداية الخلق على وجه هذه المعمورة "فالخلفيّات الفكريّة، والتَّاريخيّة والاجتماعيّة والنَّفسيَّة، كلّها تدين اليَّهود ليس بوصفٍ اليّهوديّة ديناً، ولكن لأنَّ اليهود كانوا دوماً هم الأعداء على امتداد التَّاريخ، بل كانوا الأشدَّ عداوة"[3]،ولهذا فلا يجبُ أن تتعجب من شعور المسلم ونظرته السلبيّة وردَّة فعلهِ تجاه اليَّهوديّ، فأوَّل ما يتبادر إلى ذهن الشَّخصيّات العربيَّة المسلمة تلك العلاقة من جانب اليّهود أو اليَّهوديّة، فهي ليست لها هدف سوى التجسس والكره، وهذا ما برزتهُ الرّوايّة من خلال نظرة سكان مدينة" بوسعادة" إلى "جوزيف"، فقد تجسد موقفهم منهُ في الرَّفض والنَّفيّ والمعارضةِ، فهم لم يرو شخصيّة "جوزيف" اليَّهوديّة إلاَّ اختزالاً للشَّر، ولكل المساوئ ولم يكترثوا لعيشهِ بينهم بل عاشَ مهمشاً، إذ يقول:" يعتبرونني قاصراً..يتركونني في الصَّفِ الثاني"[4]، ويقول أيضاً:" فعند مايحصل أمرها، أو ينظمون حفلَ زواج أو ختان، لايقدمون لي دعوةً مباشرة بل يبلغونيّ بالأمر عن طريق سليمان، ويطلبون منهُ أن أحضر معهُ"[5]، نرى في هذا الموضع أنَّ سكانَ المدينة، وبالتَّحديد أهل الحيّ

---

[1]- الرّوايّة، ص53.

[2]- الرِّوايَّة، ص13.

[3]- محمد يحي أبو ملحة، شخصية اليهودي في الرواية السعودية، أبعادها وتعالقاتها بين النَّفيّ والتصالح، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانيّة، مج 24، 2016، ص234.

[4]- الرّوايّة، ص24.

[5]- الرّوايّة، ص24.

الذي يعيش فيه "جوزيف" أنَّ العلاقةَ من جانبهِ ليس لها هدف، حيث يصعبُ عليهم تصور أنَّ لا علاقة إنسانيّة صادقة يمكن أن تنشأ مع اليهود الذين هم ألدَّ الأعداءِ للمسلمين ولدينهم.

ب- النَّظرةُ الإيجابيَّةُ:

يرى الكاتب" سعيد خطيبي" أنَّ نظرة المسلم إلى الآخرِ اليَّهوديّ هي نظرة منفتحة، وهذا يظهر من خلال الصداقة التي تجمع بين أبطال الرّوايَّة "سليمان" المسلم و"جوزيف" اليَّهوديّ الذي دافعَ عن الجزائر إبانَ الحرب التحريريّة، وهذا نجدهُ في قولهِ: "كنتُ صديقاً للمناضلين: محمد بوضياف وعبّان رمضان..وأنَّني كنتُ نصيراً للجزائرِ المستقلة"[1]، فمشاركتهِ في الحرب الجزائريَّة ساعدتهُ على التَّأقلمِ والعيَّش في مدينة" بوسعادة" أربعون عاماً تحت سقفٍ واحدٍ مع صديقهِ "سليمان"وهذا دليل على حسن معاملةِ أهل المدينة معه، إذ كانَ نموذجاً لليهوديّ الوفيّ في نظرهم، وصديقاً مخلصاً "لسليمان"وشريكاً معهُ في البيتِ، حيثُ نجدُ أنَّ هذا الأخير يكنُ له كلَّ المشاعر الصَّادقة من حبٍ ووفاءٍ وإخلاصٍ.

كما أبرزت الرِّوايَّة أيضاً النَّظرة الإيجابيّة ل"جوزيف" من طرف سكان حيّه، وهذا من خلال مساندتهم ومساعدتهم له حيث يقول: "زوينة هي الوحيدة التي تحاول الرَّفع من معنوياتيّ فهي تعتقد أنّني لم أهرم"[2]، من هنا تظهر لنَّا طريقة تعامل "زوينةّ مع "جوزيف"، إذ أنها كانت ترفعُ من معنوياته حتى لايشعر بالاغتراب والتَّهميش في بلدٍ غير بلده الأصليّ.

هذا يبرزُ أنَّ علاقة "جوزيف" بجيرانهِ هي علاقة طيبة، فهم يبادلونهُ الاحترام والتقدير، فاختلاط "جوزيف" اليهوديّ بالعرب المسلمين مَّكنهُ من اكتساب العديد من أخلاقهم الحميدة كاحترامه للجيران إذ يقول: "لم يحصل أن تجاوزتُ حدّي وثملتُ، احتراماً للجيرانِ"[3]، كما تجلت النّظرة الإيجابيّة ل"جوزيف" في النُّصحِ والإرشادِ له من طرف "سليمان"، فيقول:" كانَ ينصحني بالتّوقفِ عن الشربِ:

[1]- الرّوايَّة، ص11.

[2]- الرّوايّة، ص37.

[3]- الرّوايّة، ص23.

حبس الشّراب يالعميرة، راكْ غير تهلك في صحتك.."[1]، ويقول أيضاً في نفس السيَّاق:" خُذْ الرَّاي اللّي يبكيك ولا تاخذ الرَّايْ اللّي يضحككْ"[2]، من خلال هذا القول يستوقفنا مشهد النّصح الذي قام به "سليمان" وهذا خوفاً على صديقهِ "جوزيف" وعلى صحتهِ، فهو هنا يبادلهُ شعور المحبَّة، كما نجدُ جارتهُ "زوينة"تقوم بتقديم يد العون والمساعدةِ له ومعاملتهِ بلطفٍ وهذا يظهر جلياً في: "تأتي صبيحة كل ثلاثاء لتنظف البيت، تغسل الملابس وتقلل من عزلتنا"[3]، كما نجدُ معاملتها اتجاههِ كانت بلطفٍ وتقدير واحترام: "يالحاج جوزيف، مازال فيك البركة !"[4]، هنا نجدُ "زوينة" قد كست لاسمهِ لفظة "الحاج" وهذا تقديراً لهُ ولعمرهِ، فهذه اللفظة تستعملُ عادة للتكبير من الشأن وهي دلاله على الإحترام لأنه يكبرها سناً.

من هنا نلاحظ أنَّ "سعيد خطيبي" قد حاول في روايتهِ" أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" أن يبرز النَّظرة الإيجابيّة تجاه الآخر اليَّهوديّ، إذ حاولَ تزيين صورتهِ، فليسَ كلَّ يهوديّ ظالم مستبد، وقد بيَّنَ هذا من خلال نظرة الآخر له نظرة إيجابيَّة.

2. صورة المسلم لليَّهوديّ:

أ-النَّظرةُ السِّلبيَّةُ:

إنَّ روايةَ "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" للكاتب"سعيد خطيبي" واحدة من الرّوايات التي استطاعت أن ترصد لنَّا رؤية الآخر اليَّهوديّ "جوزيف" للأنا المسلم الجزائريّ، إذ تجسدت هذه الرؤيّة في صورة دونيَّة لهُ، وهذا يتجلى من خلال أقوال وأفعال "جوزيف" اليَّهوديّ في مواجهة العربيّ المسلم، حيثُ نلاحظ في مواضع عديدة من الرّوايَّة أنَّ "جوزيف" يلعنُ ويشتم مدينة "بوسعادة"، التي استوطن وعاشَ فيها، فيقول: "ففي هذه المدينة المتكررة حول نفسها مثل قنفدٍ في سباتٍ، أو متربص بفريسةٍ، عادة مايقتل الصَّمتُ الصخب"[5]، ويقول أيضاً:" ففي هذه المدينة المهاجرة بخياناتها، تجلسُ في حجر ثلة تسمى "كردادة"، كان من المفروض أن تلعب دوراً في صد الرّياحِ، لكنها تتخاذل عن القيَّامِ

[1]- الرّوايّة، ص23.
[2]- الرّوايّة، ص36.
[3]- الرّوايّة، ص37.
[4]- الرّوايَّة، ص37.
[5]- الرّوايَّة، ص22.

بواجبها"[1]، رسم "جوزيف" صوراً سلبيَّة عن مدينة "بوسعادة" وسكانها، إذ لم يكتفِ بشتمِ هذه المدينة، بل سلَّط لعنتهُ على قاطنيها، حيث يصفهم بقلةِ الفهم الحضَّاريّ فيقول: "وإن حدثَ وتحدثَ النَّاس فهم يتحدثون دفعة واحدة ولايفهم أحد شيئاً مما يقولون"[2]، الملاحظ من هذا القول أنَّ نظرة "جوزيف" للمسلمين هي نظرة سلبيَّة، لأنَّهم لا يمتلكون أسلوب الحوار ولا الإصغاء لبعضهم البعض.

غير بعيد عن السيَّاق السّابق نلاحظ أنَّ "جوزيف" اليَّهوديّ يرى أنَّ الذهنيَّة العربيَّة بعامةٍ والجزائريَّة بخاصةٍ هي ذهنيَّة متحجرة وبدائيّة تحكمها العصبيات القبليَّة "رغم أنه عاشَ هنا أكثر من أربعةِ عشر عاماً، تعلم العربيَّة وحفظ القرآن وخالط النَّاس، ووقف إلى جانبهم، في محنهم وفي مآتمهم، وأطعمهم بعضاً من رزقهِ، فقد ظلوا ينظرون إليهِ غريباً، بعين الريبة، يتوجسون منهُ"[3].

عاينت الرّوايَّة أيضاً أنَّ الإنسان الأجنبيّ ينهزم يومياً بين سكان المدينة بفعل أنانيتهم وسخريتهم وعصبيتهم، فهم ينظرون "لجوزيف" نظرة إستهزاء وحقد، حيثُ يقول: "أعرفُ أن بعضَ سكان هذه المدينة التي تفتحُ ساقيها للقوَّادين، وغير المستحيَّة يكنُّون لي حسداً، يعتقدون أنَّ الحكومة دسَّتني بينهم للتلصُّصِ عليهم لما ينامون أويستمنونَ، أولاد الكلاب يعتقدون أنَّني من بقاياَ الاستعمار"[4]، نتوصل من هذا القول إلى نظرة "جوزيف" لسكان مدينة "بوسعادة"على أنهم متعصبين من طرفهِ وحاقدين لهُ على الرَّغمِ من عيشهِ في وسطهم لزمنٍ طويل.

يستوقفنا أيضاً مشهد من مشاهد النّظرة السّلبيّة التي يُكنها "جوزيف" اليّهوديّ إلى العربيّ المسلم، وهذا ما تبينهُ الرّوايّة في: "لا أبصق أو أقذفُ مخاطاً على الأرض مثلهم"[5]، أعطى "جوزيف" هنا صورة عن المسلم الَّذي لا يبدي أيُّ اهتمام لمحيطه ونظافتهِ، لأنَّ النّظافة في مجتمعهِ هي من إرث الحضارةِ النبويّة، لقول الله عزَّوجل:"إنَّ اللهَ يُحِبُ التَّوابينَ ويحبُّ المتَّطهّرينَ"[6]، من هذا القول نلاحظُ أنَّ النّظافةَ تزيدُ في العيّنِ مهابةً، وفي القلبِ جلالةً، ومع ذلك نجدُ تهاون بعض المسلمين في التحَلّي بها حتَّى بلغوا إلى حدِّ أن يذلوا، وهذا ما حدث مع أهل مدينة "بوسعادة" من طرف "جوزيف".

---

[1]- الرّوايَّة، ص112.

[2]- الرّوايّة، ص22.

[3]- الرّوايَّة، ص12.

[4]- الرّوايَّة، ص131_132.

[5]- الرواية، ص24.

[6]- سورة البقرة، الآية[220].

كما نجدُ في موضعٍ آخر من مواضيع الرّوايّة النظرة السلبيّة تجلّت في أنَّ جيران "جوزيف" المسلمين لايتهاونون عن التَّلصّص والتجسّس على غيرهم، وهذا يبرزُ في قولهِ: "أعرفُ أنَّ الجدران تلتقط دبيب النّملةِ، وحكاياتي في البيتِ قد تبلغ بسهولةٍ بيوتاً مجاوزة، هذه خاصيّة عربيّة تعلمتها ولم أغفل عنها، النَّاس لايتنازلون عن حقهم في التّلصّص على عادات الجيران السِّريَّة، معتبرينَ الفعلة شيئاً طبيعياً"[1].

وضَّح "جوزيف" اليَّهوديّ موقفاً آخر عن نظرتهِ السّلبيّة للمسلمين والتي تمثلت في الكراهيَّة المتبادلة بينهُ وبين "عبد الكريم طيطي"، حيث يصفهُ ب: "إنَّهُ ضخمُ الجثَّة غليظُ الكفِّ وفارغُ المخِ"[2]، وينعتهُ أيضاً قائلاً: "هذا المعتوه المغتر بنفسهِ"[3]، ويقول أيضاً: "هو سيّدُ العراكِ الثنائيّ...هو لا يختلف عن "الأفغانيين"، الذين تتحدث عنهم الصحف الذين حاربوا السُّوفيّات في كابول وعادوا إلى الجزائر ليحاربوا الأجانب وغير المسلمين"[4]، وضح السَّاردُ هنا نظرة "جوزيف" ل"عبد الكريم طيطي" الَّذي يرى فيه الإنسان المتوحش، الظالم لغيرهِ من الضعفاءِ، ويسلط قوتهُ عليهم فهو يراهُ بأنهُ يسيرُ وفق مبدأ القويّ يأكل الضعيف.

كما نلقى تجلّي أبعاد سلبيّة أخرى في الرّوايَّةِ برزت في انتهاكِ حريات المقابر من طرف السكان، وهذا ظهر من خلال قول "جوزيف": "لقد شقَّ جيران المقبرةِ ممراً ترابياً وسطهان وصاروا يقطعونها من طرفٍ إلى الطَّرفِ الثانيّ، مشياً أو على دراجات هوائيّة أو ناريّة...دوساً على الحرماتِ بعض القبور نُبِشَتْ"[5]، يرى "جوزيف" بأنَّ سكان مدينة "بوسعادة" لايحترمون الأجنبيّ فقط، بل وصل بهم الأمر إلى التّعديّ على حرمة الأموات، فلم تسلم منهم المقبرة إذ قاموا بشقِ طريقٍ في وسطها وحتى القبور لم تسلم فقد رُدِمَتْ ونُبِّشَتْ.

فهذهِ بعض الصُّور السّلبيَّةِ التي رسمها "جوزيف" عن مدينة "بوسعادة" وسكانها لاتنفي وجود بعض الصُّور الإيجابيّة.

ب- النَّظرةُ الإيجابيَّةُ:

[1]-الرّوايّة، ص23_24.

[2]-الرّوايَّة، ص41.

[3]- الرّوايَّة، ص43.

[4]- الرّوايَّة، ص42.

[5]- الرّوايَّة، ص54.

تضمُ الرّوايَّة في طيَّاتها صوراً إيجابيَّة عن المسلم في نظرِ اليَّهوديّ، ونلمسُ هذا في تعاطفِ النَّاس معهُ: "ربما يتعاطفونَ معي في داخلهم لكنهم لا يقولونها علناً"[1]، يحيلُ هذا القول إلى نظرة "جوزيف" لسكان الحيّ على أنَّ قلوبهم تملؤها الرحمة والعطف على الغير حق لو كان غريباً عنهم.

تشهدُ الرّوايَّة أيضاً على إبرازِ النَّظرةِ الإيجابيّة من خلال تبادل الحب والصداقة والوفاءِ بين "جوزيف" و"سليمان"، وهذا ما يمكن الإشادة به خلال قول "جوزيف": "هو كل ما أملك، هو أهلي وعائلتي"[2]، وقوله أيضاً: "فالجميع يعرفُ الصِّلة الحميميّة التي تجمع بيننا"[3]، يحيل هذان المقطعان على أنَّ علاقة الصداقة أدت دوراً مهماً في دعمِ المشاعرِ الإيجابيةِ وتعميق الثقة المتبادلة والمساندة الإجتماعيّة التي برزت في: "أجريتُ عملية لإزالة الماء الأبيض من عينيّ...ولم أجد شخصاً آخر يقفُ بجانبيّ، ماعدا سليمان"[4]، نقل لنا هذا القول نظرة "جوزيف" عن "سليمان"، فهو من ساندهُ أيام مرضه وهنا يرى "جوزيف" أنَّ المسلم تتجلى فيه روح الإنسانيَّة ومساعدة الغيّر.

حاولَ أيضاً "سعيد خطيبي" إظهار الصورة الإيجابيّة للمسلمِ الجزائريّ "سليمان" من خلال تشبثهِ بتعاليم دينه الإسلاميّ إذ يقول"جوزيف" مبيناً ذلك: "سليمان امتنع عن الأكل، سحب الصَّحن عن جنبٍ ولم يمد له يدهُ بحجة أنيّ لم أستدر إلى القبلة لما ذبحتُ الديك"[5]، يظهر من خلال هذا القول إعجاب "جوزيف" اليهوديّ "بسليمان" لأنه رفضَ أكل الدجاجة، حفاظاً على عقيدتهِ الإسلاميّة فهو يظهر مدى تمسكه بالشريعة والدين، وهذا ما دفعهُ لرفضِ الأكل خوفاً من الحرامِ.

كشفت الرِّوايَّة جانباً آخر من جوانب نظرة اليهودي الإيجابيّة للمسلمِ، وتتعلَّق هذه النّظرة برؤية "جوزيف" لجارهِ "معاذ" الذي يصفهُ قائلاً: "معاذ الشاعر الشَّعبيّ، صاحب أول مخبزة في المدينةِ، كانَ رفيقاً طيباً ورجلاً عفواً"[6]، هذا القول يعبرُ عن نظرة اليهوديّ "جوزيف" لصاحب المخبزة، فيصفه بصفاتٍ حميدة، إذ تجمعهما أواصر الألفة والمحبةِ والانسجام.

---

[1]-الرّوايّة، ص24.

[2]- الرّوايَّة، ص18.

[3]- الرّوايَّة، ص22.

[4]- الرّوايَّة، ص17.

[5]- الرّوايَّة، ص129.

[6]- الرّوايَّة، ص97.

وفي الأخير يمكننا القول أنَّ رواية "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل بينت الجانب السَّلبي لليهود وكشفت في الوقت نفسه عن الصور الإيجابيّة له، إذ ظهر فيها اليَّهوديّ في هيئتهِ نبيلة ومتسامحة.

كما كانت نظرة اليهوديّ للمسلمِ ذات بعدين إيجابيّ وسلبيّ، فالإنسان بطبعهِ يجمع بين الخيرِ والشر، بين الإيجابيّات والسّلبيّات مها كان دينه ومعتقدهُ، إذ لم تعد الصفات السّلبيّة حكراً على اليهود فقط، وإنّما هي منتشرة بين البشر جميعاً، فخصال التسامحِ والتعصبِ موزعة بين المسلمين واليهود.

3. صورة المرأة لليَّهوديّ في الرّوايَّةِ:

تعدَّ قضيَّة المرأة من القضَّايا المهمَّة التي أثارت الجدل حولها على مرّ العصور والأزمنة، إذا شكلت بدورها محوراً أساسياً في العالمِ.

تعدَّدت النّظرة حول المرأة ومكانتها في كافةِ المجتمعاتِ، إذ أنَّ لكلِّ مجتمعٍ دينٌ تعدُ نصوصه هي الأساسُ التي يستندُ عليها أفراد المجتمع، ويسيرونَ وفقاً لمنهجها في أسلوب تعاملهم مع الآخرين، ومن ضمنهم "المرأة"، هذه الأخيرة حُظيت بمكانةٍ هامة عند دخولها إلى مجال الأدب بصفةٍ عامة، ومجال الرّوايَّة بصفةٍ خاصة، حيثُ كانت المرأة في القديم مغلوبٌ على أمرها، خاضعة لسلطةِ الرجلِ، لكن فيما بعد تحوَّلت عبر العصورِ والأيامِ لتصل إلى وضعٍ سمح لها أن تستحوذ على القلوبِ والعقول.

إنَّ معاملة المرأة وصورتها تختلف من شخصٍ لآخر ومن دين لآخر، إذ نجدُ نظرة اليّهوديّ "جوزيف" للمرأةِ الجزائريَّة المسلمة هي نظرة إعجاب واحترام، فقط بيَّنَ لنَّا من خلالِ رواية"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" موقفه منها وهذا يتجلّى في قولهِ: "زوينة امرأة شفافة ونقيّة ولا تكذبُ إلاَّ نادراً"[1]، حيث صوّر صدقَ ونقاء المرأة المسلمة في نظرِ الشَّخصيَّة اليَّهوديَّة، فهي في نظرهِ تلك المرأة التي تستشعرُ مراقبة الله لها، وتسعى إلى تطهير نفسها ظاهراً وباطناً، فالمرأة المسلمة هي امرأة صالحة.

إنَّ الإسلام يجب أن يدركهُ العالم بأنهُ دينٌ أكرمَ المرأة ومنحها حقوقاً جمَّة، حيثُ ضمنَ لها الكرامة والاحترام والحماية من كلِّ سوءٍ منذ ميلادها حتى وفاتها، وهذا مابينهُ قول "جوزيف" اليَّهوديّ عن المرأة الجزائريّة المسلمةِ: "مظهرها ليس فيه ما يغري النَّاظرَ، تأتي إلى البيتِ دائماً مرتديَّة جلابة زرقاء...وخماراً أسود أو أبيض، ويخطّي شعرها، وفوقها تلبسُ "ملحفة" بيضاء تغطي كامل جسدها ،

[1]- الرّوايَّة ، ص37.

لاشيء يظهر من مفاتنها، ولاتضعُ ماكياجا على وجهها، هي تخجل منَّا أكثر ممّا نخجل منها، لاتدخل غرفة النَّوم لترتيبها قبل أن تستأذنَ منَّا، لاتسأل عن حياتنا الخاصَّة"[1]، يرى جوزيف أنَّ المحافظة على اللّباس "الحجاب" هو إعلان له من "زوينة" لارتباطها بالقيَّمِ الإنسانيَّة والدين الإسلاميّ، وأنَّ المرأة المسلمة محافظة على هويتها العربيّة (الجزائريّة)، أمامَ الآخر اليهوديّ أو غيره، وهنا تظهر نظرةَ الإعجاب للمرأة المسلمة.

كما تجلَّت أيضاً نظرتهُ الإيجابيّة في مساعدة "زوينة" لهُ: " كانت من حين لآخر تطبخ لنا، وتجلب لنا لبناً أو منقوع تمر"[2].

قدمَ أيضاً "جوزيف" في موضعٍ آخر من الرّوايَّة صورة المرأة الشجاعة القويّة التي تدافعُ عن نفسها وشرفها بشتى الطرق، حيث يقول عن جارتهِ "لالة سعديّة: " تتحوّل في أيّ لحظة وبسهولةٍ من امرأة إلى رجلٍ ومن رجلٍ إلى امرأة"[3]، جاءَ هذا القول مبيناً نظرتهُ عن شجاعة وبسالة المرأة المسلمة، فهي مستعدة للتحوّل والتجردِ من أنوثتها دفاعاً عن نفسها، فتصبح أنثى في ثوبِ رجلٍ.

يحاولُ السَّارد في الرّوايَّةِ تسليط الضَّوء على جانبٍ مُغاير للمرأةِ وهو الأم المسلمة المكافحة والمناضلة في سبيل أبنائها، ويتضحُ هذا في نظرة "اليَّهوديّ"، "جوزيف" لها، إذ يصفها قائلاً: "لالة تركيّة النَّائليَّة، تلك الشابة الثلاثينيَّة، التي أنجبت ذكور...وبقيت هي تربّي بناتها الثلاث"[4]، يُظهر هذا القول نضال النِّساء لأجلِ أبنائهم، الأم هنا هي المربيَّة التي طوَّقت بين ذراعيها بناتها الثلاث، حيث عدَّها "جوزيف" أهم ركيزة في بناء الأسرة، ومعجزة من الله وهبها للإنسان، لأنَّها مصدر التَّضحيَّة، وهذا ما لاحظهُ "جوزيف" في "لالة تركيَّة" إحدى نساءِ الحيّ، في السيَّاقِ ذاته نجدُ امرأة أخرى ناضلت من أجل حماية أهل حيَّها وهي"خالتي ربيحة"، إذ يراها "جوزيف" بنظرةٍ إعجاب، حيثُ يقول: "خالتي ربيحة التّي كانت تركّب ظهر بغلها، كلَّ يومٍ، لتجلب الماءَ، من على بعد ثلاثين كيلو متراً لمدَّةِ عام كامل، كي تحميّ أبناء الحّارة التي تسكن فيها، من حمقى التيفوئيد"[5].

---

[1]- الرّوايَّة، ص38_39.

[2]- الرّوايَّة، ص39.

[3]- الرّوايَّة، ص43.

[4]- الرّوايَّة، ص47.

[5]- الرّوايَّة، ص47_48.

ومايلفتُ النَّظر في الرّوايَةِ أيضاً تلك الشَّخصيَّة النِّسائيَّة "النَّائليَّة"، في نظر اليَّهوديّ "جوزيف" الذي يراها مخلصةً في حبها ومستعدة لقطعِ كل الأواصل من أجل محبوبها وحتى أواصل العائلة، إذ يتجلى هذا في قوله: "بنات أولاد نائل الرقيقات و الوديعات و المحبَّات للأجنبي و لابن البلد، بنات لم أجد مثيلاً لهنَّ لا في تونس ولا في مراكش، بنات مستعدّات لتقطيع أواصلهن من أجل الحفاظ على علاقتهن بالمحبوب"[1].

وفي موضعٍ آخر يرى "جوزيف" بأنَّ المرأة المسلمة لا تمتلك الشجاعة والقوة فقط، بل يراها امرأة كاملة المفاتن بجمالها وحيائها حيثُ يقول: "لستُ أتخيَّل خضرة سوى ممتلئة أملاً، طويلة القدّ وبيضاء البشرة، تشبهُ "إيزابيل إيبرهارت" في غنجها المحتشم"[2]، يرى "جوزيف" أنَّ المرأة المسلمة تتميَّزُ بحيائها الذّي يزيدها زينةً وبهاء، قبل جمالها الخارجي، وهذا ما يجعلها محبوبة مرغوبة لدى المسلم ولدى اليَّهوديّ.

ومجمل القول أنَّ المرأة المسلمة "الجزائريَّة" في نظر اليَّهوديّ مكافحة شجاعة، قوّية، محافظة على القيَّم الإسلاميَّة، عفيفة مستترة تتسِّمُ بالأخلاقِ والصِّفات الحسنة في التعاملِ مع القريب والغريب.

مبحث ثانٍ: تمظهرات الذَّات في الرّوايَةِ:

لقد اكتسبت الذَّات مكانة جدُّ هامة في الدّراساتِ الأدبيَّة، إذ تعدُّ الأساس الأوّل والأهم الذي يختلجُ فكر الكاتب عند شروعهِ في إنشاءِ نص روائيّ، فالذَّات الإنسانيَّة قد شغلت عدداً من المفكرين والفلاسفة منذ آراء سقراط الأولى، ومَنْ تلاهُ فلاسفة اليونان حيثُ نال مصطلح الذَّات اهتماماً واسعاً في مجال الفلسفةِ.

وقديماً كان "مفهوم الذّات أيّ قوام الكائن، يقابلُ العَرضَ الذي هو سطحيّ وزائل، وإلى هذا المعنى أشار آرسطو في قولهِ: إنَّ ذات الشيء نسبتهُ إلى موضوع، وهي التي يتَّصلُ بها نوعانِ من الأعراض: الأعراض النَّابتة عنها، والأعراض المفاجئة وغير المتوقعة"[3].

---

[1]- الرّوايَة، ص46.

[2]- الرّوايَة، ص51.

[3]- جبور عبد النّور، المعجم الأدبيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص116.

تعدُّ الذَّات إذاً مصدراً لتمثل صراعات الأديب، ومنبعاً وافراً الإبداعيّة وتخيلاتهِ، فهي بمثابةِ المخزون الذي تنبثق منهُ إبداعات الروائيّ، كما أنَّ موضوع الذَّات حُظي باهتمام عددٍ كبير من الباحثين والمفكرين وذلك نظراً للأهميّة الكبيرة التي أدركها الإنسان لها.

أمَّا في العصر الحديث فقد لقيّ مصطلح "الذَّات" انشغالاً واسعاً وكبيراً، وخضع للكثير من الأبحاثِ والتفكير، كما تناولتها مذاهبها كثيرة، وفلسفات متعددة، فقط سعى الباحثون إلى دراسةِ الذّات الإنسّانيَّة ومحاولة إدراك كينونتها وتحديد مفهوم لها، مع تحديد وظيفتها وأنواعها، إذ تعبّرُ الذَّات في الرّوايَّة عمليّة سرديَّة تروي من خلالها حياة الإنسان والمجتمع الواقعيّ، وهذا ما يمَّكنُ السّاردُ من التّعبير عمَّا يجول في نفسهِ من عبء الحيَّاةِ وقساوتها وتجاربها.

أمَّا عن أبرز الأسباب التي ساعدت للكتَّابةِ عن الذَّاتِ فهي: إشباع الأنا(الذَّات)، ففيها يتناول الأديب ويتطرق إلى الحديث عن نفسهِ من خلال نصوصٍ تخييلية تحضرُ الذّات فيها. كمّا أنَّهُ لا يتوجب على السَّارد الاعتماد على الضمير الأوَّل (المتكلم)، بل قد يستطيع اللجوء إلى استخدام ضمائر أخرى مرتبطة بها.

إذًا يصعب علينا ضبط مفهوم دقيق لمصطلح "الذَّاتّ وهذا لكونهِ مصطلحاً مرناً يتخذُ شكلاً خاصاً ومتغيراً، فقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور: "ذاتُ الشَّيء حقيقتهُ وخاصَّتهُ...وكذلكَ عرَّفهُ مِن ذاتِ نَفْسهِ كأنَّهُ يعني سريرتهُ المضمرةَ..."[1].

وعليه فإنَّ "الذَّات" في الأدب سواءاً شعراً أو سرداً فهي تتناول الحالات النَّفسيَّة للكاتبِ، كمَّا أنَّ موضوعات الكتَّابةِ عن الذَّاتِ في الأدب متعددة، فهي لاتشملُ جانباً واحدًا فقط بل تشمل جميع جوانب ونواحي الحيَّاة.

تبدو روايّة " أربعون عاماً من انتظار إيزابيل"، للكاتب الجزائريّ "سعيد خطيبيّ" رواية معرفيّة بامتياز، تطرقت لموضوعات وأحداث اجتماعيّة وسياسيّة، عاشها المجتمع الجزائريّ، فهي تبتعد عن الخيَّال وتقترب أكثر من الواقعن كما أنها لم تغفل ع جانب التَّعصّب والتّسامح وبهذا كانَّ لابد لها أنْ ترصد "الذّات" وبقوة، وهذه الأخيرة هي من أبرز العناصر في العمل الرّوائيّ، إذ نجدها في روايّة "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"، قد اتخذت حالات مختلفة ولم تثبت على حال واحدة وهذا نظراً لما

[1]– ابن امنظور، لسان العرب، مادة(ذ و و ذوات)، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص1504.

مرَّت به من تلك الأوضاع التي كانت سائدة في البلادِ إضافة إلى ازدواجيّة الهُوِيَّة. من هذا المنطلق نجد بروز الذّات في الرِّوايَةِ بأشكالٍ متعددة متخذة في ذلك مايدل عليها ومايوحي بوجودها حيث نجدُ:

1. الذَّاتُ القلقة:

لقد عُرفت "الذَّات" في هذه الرّوايَةِ بأنها ذاتٌ قلقلة، مضطربة وغير متوازنة، وأصبحت تحيى حياة مليئة بالقلق، تعرف صراعات مع نفسها ومع الغيّر، وربما يعود ذلك للأوضاعِ السياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ التي كانت سائدة في مدينة "بوسعادة"، ممّا جعلها قلقة ومرتبكة في اختياراتها ومتصدعة في تفكيرها، إذ يغمرها الخوف والاضطراب.

نلاحظُ أنَّ الذَّات البارزة في الرِّوايَةِ في ذاتٌ مرتبطة بالشَّخصيَّةِ الرئيسيَّة، وفي الوقتِ نفسهُ نجدها خاصة بالسَّارد "جوزيف" الذي يُحمّل نفسهُ أعباء أحداثِ الرّوايّة.

إذ نجدُ سيطرت الارتباك والقلق والحيّرة على الذَّات، وهذا يظهر من خلال قول "جوزيف": " رُبما أخطأتُ يوم قررتُ المجيء إلى هذهِ المدينة المعاديّة لنفسها"[1]، نلاحظُ بأنَّ ذات جوزيف غير راضيَّة على الحالةِ التّي في فيها، ولازالت تشكُ في القرارِ الذي مرَّ عليهِ سنوات، إذ يرى "جوزيف"، أنَّ هذا القرار غير صائب كونهُ قبلَ العيشَ، والمكوث في مدينة" بوسعادة".

فأصبحت "الذَّات" ضالة لطريقها، تبحثُ عن نفسها وقد يعود ذلك لكونها ذاتٌ تعيشُ بهويتينِ، بأصلٍ فرنسيّ يهوديّ وعربيّ مسلم منذ أربعين سنة، إذ لم تتمكن "الذَّات" من التوفيق بين هذينِ المتناقضينِ فهي ذاتٌ قلقة بين المحافظةِ على الخصوصيَّة الإسلاميّة، وبين العيش بثقافةٍ يهوديّة.

يبدوا كذلك أنَّ ذات الشّخصيّة، قلقة جراء ما قد يحدث في مستقبل المدينة الَّتي تعيشُ فيها، إذ يقول "جوزيف": "الخوفُ يحتّم عليّ الكتابة، تدوين حياتي بسرعةٍ، لعليّ أنسى أو أخفَّف على نفسي حدّة القلق من المستقبل القريب"[2]، فالذّات هنا مرتبكة وخائفة ممّا قد يحصل بعد الانتخابات.

إنَّ الذَّات القلقة في الرّوايّة بقيت أيضاً متمسكة بالماضيّ على الرَّغمِ من مرور الزمن، وتغير البلد من حالٍ إلى حالٍ، إذ نجدُ في الرِّوايَةِ قول جوزيف: "كانت تلك هي الفترة التي أحسستُ فيها بأنَّ

[1]- الرّوايَة، ص13.

[2]- الرّوايَة، ص14.

البلد لم يعد هو نفسهُ، لم يعد كما عرفتهُ، لقد تغيَّر وأنا بقيتُ مرابطاً وممسكاً بأفكاري المستوردة من ماضٍ بعيد، كان البلد يتحرَّك وأنا راكد في مكانيّ"[1].

من خلال هذا القول نلاحظ أنَّ كل شيء يتغير وأنَّ البلد اختلف عن الماضيّ بشكلٍ كبير، لكن (الذَّات) الأنا مازالت سجينة وحبيسة الماضيّ، ولم تستوعب وتقبل التغيير، فربما ذاكرة "جوزيف" متعلَّقة بالماضي لدرجةِ أنَّ كل شيء أصبح مختلفاً وغريباً في وجهِ الذَّات.

تبقى(الذَّات) في الرّوايَةِ تقارنُ بين الماضي والحاضر، وكأنها غير راضيّة بواقعها أو غير مقتنعة بالزَّمنِ الذي تعيشُ فيه وهذا ما نجدهُ يتجلَّى في قول "جوزيف": "أربعون يوماً قضاها نوح في تأمل الطُّوفان، زدتها أبعون عاماً في مصاحبة غرباء ومسح آثار طوفانيّ بلافائدة...أربعون عاماً حكمَ فيها النَّبيّ سليمان أرض الدّيانات وأنا عشت مثلها محكوماً عليَّ بالوسواس"[2].

من هنا يظهر أنَّ المدَّة الزمنيّة المتمثلة في العدد (أربعون)، تراهُ الذَّات في الرّوايَةِ أنهُ ألحق بها الأذى والألم طِوال هذه المدَّة فجعلها خائفة، قلقة ومرتبكة.

إنَّ القلق الَّذي تعاني منه ذات "جوزيف"، هو قلق غير عاديّ أفقدهُ الكثير من الأمور أهمها السكينة والاستقرار، إذ يقول: "لم أعد أشعر بالأمانِ، ينتابني شعور بأنَّ الأرض ستتحرَّك تحت قدميّ في أية لحظة"[3]، فالقلق والخوف جعلهُ يفقد الهدوء، والاطمئنان إلى درجة أنهُ يشعر بشيء مخيفاً سيحل بهِ، يبدو كذلك أنَّ تلك الارتباكات الَّتي كانت تمرُ بها الذّات لم تحافظ على وتيرتها فقد كانت متذبذبة، إذ يقول"جوزيف": "القلق يرتفعُ وينخفض مثلما يرتفعُ وينخفض مؤشر الترمومتر"[4].

إنَّ قول "جوزيف" يبين أنَّ القلق الذي ينتاب ذاتهُ ليس ثابتاً، فأحياناً تزيدُ شدَّتهُ ممّا يفقده القدرة على التّفكير، وأحياناً أخرى تنخفض هذه الشِّدة، وهذا ما جعلهُ يشبَّهُ ذلك بجهاز قياس الحرارة.

كما أنَّ القلق والخوف أصبحا يسيطرانِ على ذات الفردِ مما يجعلانهُ يعجز عن القيّام بكثير من الأمورِ، وهذا ما حدث مع "جوزيف" وصديقه "سليمان"، إذ يقول: "جوزيف": "لم نأكل شيئاً يذكر

[1]- الرّوايَة، ص93.

[2]- الرّوايَة، ص95.

[3]- الرّوايَة، ص67.

[4]- الرّوايَة، ص88.

في اليومين الأولين، لم نشعر بجوعٍ أو ربّما التوتر تغلب على الجوعِ"[1]، وهذا القول يبين مدى سيطرة التوتر والقلق على النَّفسيَّةِ حيث أصبحَ هذا التوتر يطغى عليها.

وعليهِ ففي روايّة "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"، نجدُ الذَّات جد قلقة وغير متوازنة، فهي تكادُ تستسلم، كما أنها تخلت عن الكثير وأصبحت متخوفة من المستقبل وما سيحدث فيه.

2.الذَّاتُ التَّائهةُ:

برزت الذّات في الرّوايةِ بشكلٍ آخر ومغاير، حيث أصبحت مشتتة الأفكار، تائهة في خياراتها وقراراتها وهذه الذّات هي الذّات التَّائهة، فهي الأخيرة لم يعرف مبتغاها، ولم تجد مسعاها.

تبين الرِّوايَة "الذَّات" بأنها ذاتٌ مشتتة تبحثُ عن التوازن والاعتدال، وذاتُ "جوزيف" نجدها قد وجدت ملاذها في الآخر ألا وهي إيزابيل" التي سهلت له عمليّة الكشفِ عن ذاتهِ، فعند تعرفهِ عليها عرفَ نفسهُ و عبَّر عن ذاتهِ وربما هذا ما جعلهُ تائهاً في حسم القرارِ.

كما نلاحظ، أيضاً أنَّ ذات "جوزيف" تائهة بين هويتين مختلفتينِ، كما نجدها تتساءل عن الانتماءِ الحقيقيّ لها حيثُ أصبح الشك ينتابُ "جوزيف"، فيقول: "فلا أنا جزائريّ كما يلزم لجزائريّ أن يكون ، رغم باسبوري الأخضر، الَّذي سلَّمني إياه وزير الدّاخليّةِ"[2]، إذاً لم يكن "جوزيف" كما يجب أن يكون المواطن الجزائريّ، رغم أنهُ قانونياً يعدُّ جزائرياً، فهو في حد ذاتهِ يشك في انتماءهِ هذا وهويته التي اكتسبها مع مرور الزمن.

من ناحيّة أخرى تبرزُ لنَّا الِرّوايَّة أنَّ "جوزيف" ليس متأكد من انتماءهِ الفرنسيّ أيضاً، وهذا ما يجعل ذاتهُ تائهة ومضطربة بين هويتين، بين خصوصيتين يتميزُ بها طرفين متناقضينِ كل التناقض، فهو فرنسيّ يهوديّ وجزائريّ مسلم.

وتظهرُ "الذَّات" التَّائهة في الرِّوايَّةِ أيضاً من خلالِ اختلاطِ الأمورِ على "جوزيف" في ممارسته لطقوسه وعباداتهِ إذ نجدهُ يقول: "وبقينا نواظبُ معاً على الواجبِ الدّينيّ من صلاة في البيت والمسجد، مقابل أن يتغاضى عن نزواتيّ الشَّخصيّة، لكن لم يحصل أن تجاوزت حدّي وثملت"[3]، تظهرُ لنا ذات "جوزيف" المتقلبة في تيهها إذْ أنها تمارسُ الطقوس الدينيّة الإسلاميّة، ولكنَّها لم تتخلى في

[1]- الرّوايَّة، ص152.

[2]- الرّوايَّة، ص90_91.

[3]- الرّوايَّة، ص23.

الوقت نفسه عن ما عهدته من بعض الأمور التي يحرمها الدين الإسلاميّ، مثل شرب الخمر، فهنا "جوزيف" بالرَّغمِ من اعتناقهِ الإسلام إلاَّ أنَّهُ مازالَ محافظاً على ما ورثهُ من أجداده اليهود.

فالقلق والارتباك جعل "جوزيف" يبحث عن ذاته، والتي اعتقد أنها الصورة المؤنثة منهُ وهي "إيزابيل"، التي عاشت نفس تفاصيل حياتهِ فيقول: "إيزابيل كانت صورة مؤنثة منّي نصرانيَّة متأسلمة قلقة وملعونة، لاهي أوروبية ولاهي عربية"[1]، لم يصل "جوزيف" إلى ذاتهِ بعد وانتسابه الحقيقيّ، فهو لم يعرف هل هو عربيّ مسلم أم غربيّ يهوديّ، فهو تائه بين هذا وذاك، بين ماولد ونشأ عليه، وما تعلَّمه واكتسبهُ مع مرور الزمن.

إنَّ "الذَّات" في هذه الرِّوايَّة هي ذاتٌ تعيشُ شخصيتين في آنٍ واحد وهذا مايجعلها معظم الوقت تائهة بين الشخصيّة المسلمة والشخصيَّة اليهوديّة، فمثلاً نجدهُ يحافظُ على اسمهِ الأصليّ على الرَّغمِ من دخولهِ الإسلام ويظهر ذلك من خلال قوله :"فلن أطلب من سليمان أو من سينوب عنه لحظة احتضاريّ سوى شيئينِ: أن يكتب على شاهدَ قبري اسمي الحقيقيّ، جوزيف رينشار"[2]، كذلك نجدهُ مازال يؤديّ الطقوس اليهوديّة ولم يتخلَ عنها بالرَّغمِ من أنهُ مسلمٌ كما يدعي فيقول: "أصلّي صلوات سريعة وقلقلة، أدعوا الرّب بأن يُجنَّبني..ثم أرسمُ إشارة الصَّليب وأخرج مهرولاً... فأنا أدخل الكنيسة وأخرج منها خفيَّة"[3]، فالذَّات غير راضيّة عن حالتها وتيهانها بين ديانتيّن مختلفتيّن وتناقضها حول أصلها. وهنا يبدوا "جوزيف" أنَّهُ تائه في قراراته ولم يدرك بعد إذا كانَ مسلماً أو يهودياً، فهو لايزالُ يبحث عن ذاته الَّتي يصنفها في كل مرة في خانة معينة، إذ لايثبت لحظات حتى يكرر تصنيفها في خانة أخرى وربما هذا راجعٌ للذّاتِ التَّائهة بين الهُنا والهناك، فذاتهُ تائهة حقاً تبحثُ عن طريقها لإيجاد نفسها.

نلمس في الرّوايّة كذلك بأنَّ ذات "جوزيف" تائهة في اتخاذ أبسط القرارات وهذا يظهر من خلال قولهِ: "هل أساند الشَّباب الغاضب أم حكومة الرَّئيس، الَّذي شارك في الثَّورةِ..اختلطت في

[1]- الرّوايَّة، ص26.

[2]- الرّوايَّة، ص30.

[3]- الرّوايَّة، ص52.

ذهني الصَّورة، كما لو كنت تائهاً في أرضٍ لا أعرفها وأسير عكس التَّيار، لم أعرف أين هو الحق وأين هو الباطل"[1]، هنا نجدهُ تائه في تفكيرهِ وقراراتهِ حول من سيؤيد وسيعارض.

إذًا لعل "الذَّات" في الرِّوايَةِ هنا هي ذاتٌ تائهة لا تعرفُ طريقها، فهي أحياناً تجمعُ بين متناقضينِ وتفرق بين متناسبين، وقد قضى مدة طويلة في البحثِ عن ذاتهِ التَّائهة إذ يقول: "أربعون عاماً قضيتها في التسكع، في معاركة نفسيّ، وفي البحثِ عن وجهٍ لي"[2]، فعلى الرّغم من هذه المدة الزمنيّة الطويلة _ أربعون عاماً_ لكنها لم تكن لتكفيه لإيجاد نفسه والتعرف على ذاتهِ، إذ نجدُ هذه الرِّوايَّة تسعى إلى الكشفِ عن جانب آخر للذّاتِ وهي الذَّات التَّائهة.

[1]- الرّوايَّة، ص93.

[2]- الرّوايَّة، ص95.

خاتمة

توصَلنا بعد دراستنا المعنونة بصورة اليّهوديّ في الرّوايَةِ الجزائريَّةِ المعاصرة في رواية" **أربعون عاماً في انتظارِ إيزابيل**" للرّوائيّ "**سعيد خطيبي**" إلى جملة من النتائج نجملها في النّقاط الآتيّة:

- صورة اليَّهوديّ في الرّوايَةِ هي من أكثر الإشكاليات المثيرة للاهتمام والجدل.
- أظهرت الرّوايَة وجود علاقتين متناقضتينِ تجمعُ بين كل من اليَّهوديّ والمسلم، إمَّا علاقة قائمة على الصّداقةِ المفعمة بالاحترامِ المتبادل، وإمَّا تقوم على قاعدة الكره والرَّفض من الطرفين.
- سعى الرّوائيّ "سعيد خطيبي" إلى تقديم موضوع جديد في روايتهِ، راسماً فيها صورة نموذجيَّة للتَّعايش بين الأديانِ أساسها التَّأقلم والتّفاهم والاحترام.
- جسَّدت رواية "أربعون عاماً في انتظارِ إيزابيل" ثنائيَّة ضديَّة بين المسلم واليَّهوديّ من خلال إظهار صورة بديلة ومضادة لتصحيح الصُّورة الاستشراقية.
- تعدّدت أبعاد الهُوِيَّة في الرّوايَةِ وتنَّوعت بين البعد الدّينيّ والبعد الثقافيّ.
- برزت الذَّات في الرّوايَةِ بأشكالها مختلفة، قلقة إزاء وضعها المزريّ وتائهة لا تعرف وجهتها.
- إنَّ استحضار اليَّهوديّ في روايَةِ "أربعون عاماً في انتظارِ إيزابيل"، مرتبط بفكرة التّعايش السّلميّ بين الديانات والتّطلّع إلى مجتمعٍ مثاليّ يقوم على التّسّامح وعدم التَّهميش.
- إذًا أظهرت لنا الرّوايَة وجهينِ لصورة الآخر اليَّهوديّ، يتمثل الأوَّل في الوجه الشرير، والوجه الثّانيّ في المتسامح.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم، **رواية ورش عن نافع**، دار الفجر الإسلاميّ، بيروت، ط1، 2018.

أولاً المصادر:

2. سعيد خطيبي، **أربعون عاماً في انتظار إيزابيل**، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016.

ثانياً المراجع:

3. آمنة يوسف، **تقنيات السرد في النظرّية والتطبيق**، دار فارس، بيروت، ط2، 2015.

4. بوشوشة بن جمعة، **مختارات من الرَّواية المغاربية المعاصرة**، بيت الحكمة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، قرطاج، (د، ط)، ج1، 1992.

5. صالح مفقودة، **المرأة في الرَّواية الجزائرَّية**، دار الشروق، بسكرة، ط2، 2015.

6. عادل الأسطة، **اليهودي في الرَّواية العربية**، جدل الذات والآخر، رام الله، ط1، 2012.

7. عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرَّواية (بحث في تقنيات السرد)**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، ط)، 1998.

ثالثاً: المعاجم:

8. جبور عبد النّور، **المعجم الأدبيّ**، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984.

9. المعجم الوسيط، **مجمع اللغة العربية**، مادة(ر.و.ى)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

10. ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، مادة (ر.و.ى)، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

رابعاً: المجلّات والدَوريات:

11. جليلة الطريطر، كتاب **الهوية الأنثويَّة في السيرة الذاتية العربية الحديثة**، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، ع195 ،2008.

12. حياة عبد العزيز محمد نياز، **تصور مقترح لزيادة وعي طلاب الجامعات السعودية لمبدأ التَّعايش السلميّ مع الآخر**، مجلة العلوم التربوية، ع2، ج2، 2017.

13. خولة حمدي، **تمثلات الشخصيَّة اليَّهوديَّة وتجليات الخطاب اليهودي**، مجلة القارئ للدرساتِ الأدبية واللغوية، المسيلة، مج4، 2021.

14. دليلة مروك، **انشطار الذّات وسؤال الهوّية**، مجلة العلوم الإنسانية، ع47، مج أ، جوان2017.
15. محمد سيد أحمد متولي، صورة **اليهودي في الرَّواية العربية المعاصرة(رؤية سردية مغايرة)**، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ع1 إلى2، مج34، 2019.
16. محمد يحي أبو ملحة، **شخصية اليهودي في الرَّواية السعودية، أبعادها وتعالقاتها بين النَّفيّ والتصالح**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانيّة، مج24، 2016.
17. نبيلة فراحتية، نعيمة بوزيدي، **تشظي الهويّة وانشطار الذّات في الخطاب الروائي الجزائري مابعد الكولونيالي، قراءة في روايتي" الانطباع الأخير" و"مالا تذروه الرياح"**، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة(2)، ع1، مج13، مارس2021.
18. هاجر مباركي، محمد سعدي، **إشكالية الهُوِيَّة في الرِّوايَّةِ العربية(معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟)**، مجلة دراسات أدبية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، ع6، جوان2016.

ملحق

ملخص الروايّة:

تدور أحدث رّوايَّة **"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي**" حول شخصيّة أجنبيَّة فرنسيَّة تدعى "جوزيف رينشار"، إذ تعدُّ هذه الأخيرة الشَّخصيَّة البطل، السَّارد، الذي استحضر الماضيّ، وهو رسام وجنديّ فرنسيّ سابق، شاركَ في حربِ التَّحرير الجزائريَّة ثم في الحربِ العالميَّة الثانيَّة، إذ ساقهُ القدر في هذه القدر في هذه الحرب للتَّعرفِ على شخصيَّةٍ عربيَّةٍ تدعى"سليمان بلهوم" الذي سافر معهُ بعد الحربِ إلى صحراءِ الجزائر ببوسعادة لكي يعيش معهُ، هناك إذاً اعتبرهُ عائلتهُ، فعثر "جوزيف" على مخطوطات كتابيّة "لإيزابيل ايبرهات"، التي أُغرمَ بها "جوزيف" ، وتمنى لو قابلها وعاشَ معها، لأنَّ حياتها تتشابهُ في أكثرِ من محطةٍ مع حياته، أيّ كلاّهما جاءا من أوروبا وعاشاَ في صحراءِ الجزائرِ، وكلاَّهما اعتنقا الإسلام.

لكنَّها لقيَّت حتفها في فيضان طوفان في الصحراءِ وهي لاتزالُ في ريعانِ شبابها، فكانت "إيزابيل" كاتبة ذات أصول سويسريّة سخرت قلمها للكتَّابةِ والدِّفاعِ على الشعب الجزائريّ، تعلّقت بالبيئةِ الصّحراويَّة والمجتمع الجزائريّ، وعاداته وتقاليده فكانت تتنكرُ بالزّي التَّقليديّ " البرنوس"، فمخطوطها الذي حصل عليه حوله إلى لوحاتٍ تشكيليّة فنيَّة، بلغَ عددها ثلاثة عشر لوحةٍ ودفنها تحت الكرمةِ وشجرة اللَّيمون في فناءِ بيتهِ أملاً منهُ في أن يأتي أناساً من بعدهِ ويستخرجونها.

على الرَّغمِ من كل ما عاشهُ "جوزيف"، من قلقٍ واضطرابات نفسيَّة وتخليه عن بعض مبادئهِ وعاداتهِ وتقاليده، إلاَّ أنَّهُ ظل غريباً رغم الأربعين عاماً التي قضاها في الجزائرِ، ولا يعرف نفسهُ أحياناً أهو فرنسيًّا مسيحياً أو جزائرياً مسلماً، وهذا ما أجبرهُ على مغادرة الجزائر والعودة إلى شقتهِ في الضَّاحيَّةِ الباريسيَّةِ بفرنسا هو وصديقهُ "سليمان" بسبب الأوضاع السياسيَّة التي تمرُ بها الجزائر خلال تلك الأربعين عاماً التي عاشها بالجزائر.

التعريف بالرّوائيّ "سعيد خطيبي":

هو كاتبٌ وصّحفيّ جزائريّ من مواليد29 ديسمبر1984، ببوسعادة ولاية المسيلة (الجزائر)، يكتبُ باللّغتينِ العربيّة والفرنسيَّة، عمل في جريدة الجزائر نيوز، أكمل دراستهُ العليّا في السّوسيولوجيَّا في جامعة السوربون عام 2011م، يشتغلُ في حقل الإعلامِ، ساهم لمدةِ عامين في تحرير الملحق الثقافيّ " الأثر"، ثم انتقل إلى جريدة الخبر، درسَ في الجزائر وفرنسا، اشتهر خصوصاً بتغطيّة مناطق النّزاعات في افريقيا وأوروبا، كمَّا أشرف أيضاً لسنواتٍ على إدارة تحرير مجلة الدوحة الثقافيَّة، وأسس موقع نفخة الثقافيّ، أمَّا علاقته بالأدبِ فهي علاقة وطيدة، تكادُ أن تكون علاقة وجوديَّة.

سافر من الجزائر إلى فرنسا ثم قطر ليسقتر بعدها في سلوفنيا، نال جائزة الصّحافة العربيَّة سنة2012م، وجائزة ابن بطوطة للرحلةِ المعاصرة سنة 2015م، وجائزة كتارا للرّوايّة العربيَّة في 2017م.

مؤلفاته:

1. " بعيداً عن نجمة"، (ترجمات شعريَّة لكاتب ياسين)، 2009م.
2. "مدار الغيّاب"، (ترجمات للقصةِ القصيرة الجزائريّة)،2009م.
3. "أعراس النَّار"، (قصة الرّاي سنة 2010م)، والذي يعتبر أوّل كتاب توثيقيّ حول موسيقى الرّاي.
4. كتاب"عبرت السماء حافياً"، سنة2011م.
5. روايتهُ الأولى "كتاب الخطايا"، التي نالت صدى نقدياً واسعاً في الجزائرِ والعالم العربيّ، سنة2013.
6. "حيتان الشرق الملتهبة"، (كتاب رحلات في دول العقاليّة)، 2015م.
7. رواية " أواصل التراث العربيّ والجزائريّ تحديداً"،2016م.
8. رواية "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل"، رواية توجت بجائزة "كتارا القطريَّة، 2016م؛
9. رواية حطب سراييفو،2018م.

فهرس الموضوعات

إهداء

مقدّمة.....أ-ج

مدخل: مفاهيم نظريَّة.....10-15

1. تعريف الرواية.....10

أ- لغة.....10-11

ب- اصطلاحا.....11

2. الرِّوايَّة الجزائريَّة.....12

3. أعلام الرِّوايَّة الجزائريَّة.....12-13

4. الرِّوايَّة الجزائريَّة المعاصرة.....13-14

5. الكُتَّاب الذين تحدثوا عن صورة اليهوديّ في رواياتهم.....14-15

فصل أوَّل: تجلَيات التعايش وتمثلات الهُوِيَّة في رواية:"أبعون عاماً في انتظار إيزابيل".....16-30

مبحث أوَّل: التعايش والاندماج في الرِّوايَّة.....18-25

1. التعايش الاجتماعيّ.....18-21

2. التعايش الدينيّ.....21-23

3. التعايش الإنسانيّ.....23-24

مبحث ثانٍ: تمثلات الهُوِيَّة في الرِّوايَّة.....25-30

1. الهُوِيَّة الدينيَّة.....25-26

2. الهُوِيَّة الثقافيَّة.....26-27

3. ازدواجيَّة وانشطار الهُوِيَّة.....27-30

فصل ثانٍ: تجليات الصُّورة وتمظهرات الذَّات في رِوايَّةِ:"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل".31-50

مبحث أوّل: تجليات الصُّورة في الرِّوايَّةِ.....33-44

1. صورة اليهوديّ للمسلمِ.....34

أ- النَّظرة السِّلبيَّة.....34-37

ب-النَّظرة الإيجابيَّة.....37-38

2. صورة المسلم لليهوديّ.....38

أ- النَّظرة السِّلبيَّة.....41-38
ب- النَّظرة الإيجابيَّة.....42-41
3. صورة المرأة لليهوديّ في الرِّوايَّة.....44-42
مبحث ثانٍ: تمظهرات الذَّات في الرِّوايَّةِ.....46-44
1.الذَّات القلقة.....48-46
2.الذّات التَّائهة.....50-48
خاتمة.....52
قائمة المصادر والمراجع.....55-54
ملحق.....58-57
فهرس الموضوعات.....61-60

ملخص البحث:

يهدفُ هذا البحث إلى كشفِ العلاقة بين اليَّهوديّ والمسلم، إذ مثلت هذه الثنائيّة جوهر الموضوع في الرِّوايَّةِ، فقد سلط الّروائيّ "سعيد خطيبي" الضوء على هذه الثنائيّة ليبين للقارئ جدليَّة الآخر اليّهوديّ والمسلم، والتي قوامها التّعايش والتّسامح.

Resume :

Cette recherche vise a devoiler la relation entre le juif et le musluma, et qui represente egalment le sujet prinsipale du roman.

En effet le romancier Said Khatib met en evidence ce binare pour montrer aux lecteurs le debat de lautre –le juif et le musluman-qu est base sur la coexistance et la tolerance.

Abstarct :

Thos research aims to show the relatu between the Muslim and the Jwish whish is the main subjact in this novel Said Khatib wants to show the reader That this relation is Based on the coexistence and the tolerance.